

هوامش على كتاب الحرب والسلام

8



شعر

يوسف عويد الصياصنة

يوسف عويِّد الصيَّاصنه

هوامش

على كتاب الحرب والسَّلام

شعر

(كتبت هذه القصائد في عام ١٩٩٨)

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٩

البريد الالكتروني: Email : aru@net.sy

الانترنيت Internet : unecriv@net.sy:

تصميم الغلاف للفنان : محمود جوابرة

□

الإهـــــداء

إلـى غـدٍ...

يلـوحُ مثـلَ نخلـةٍ

فـي البيـدِ... صـوتَ نـايْ...

يهزُّنـــي....

أسـيرُ خلـفَ الصَّـوتِ،

علَّ الصّبـحَ

يُرجـعُ الصَّـدى

تَحُثُّنـي خطــايْ...

وتعلـنُ الآفـاقُ أنِّـي لـم أصـلْ

إلا لمنتهـــايَ!!..

□



فـــي الطَّـــريق

أَمُـرُّ...

أراهـا،

"أَلِدُّ" إلــى الخَلْـفِ،

تَرقُبُ كـلَّ الجهاتِ

-بطرفـةِ عيـنٍ- معـاً، خائفـةْ..

ونخطـفُ -مـن بعضنـا-

قبلـةً راعفـةْ...

أتـابع....

أَنْظُرُ للخلـفِ،

حتـى أغيـبَ...

وتبقـى

- علـى بابهـا-

واقفـةْ...

□□□

قناديل على شرفةِ الرُّوح...

تباطأ مزهرنا بالغيوثِ،
على طاره؟!!!
العاشقاتُ لهاثُ بخورٍ،
دموعُ صلاةْ..
وجرعةُ حزنٍ، لبدءِ الرّحيلِ،
وبوصلةٌ للدّليلِ، وآهْ..
وبعضُ المَتاعِ؟!!!
طريقٌ، ورمّانةٌ من دخانٍ،
وابريقُ من عَسْجَدِ الرّوحِ،
طارَ، تراكضَ في جمرهِ،
والفَضا؟!!!
"هينماتْ"

وتلكَ النَجـومُ؟!!!!

تسـابيحُ سـاهدةٍ

أسـلمت جفنهـا للحبيـبِ،

وَزَمَّـتْ علـى صدرهـا بابَهـا

لـم تزرْهـا الحكايـا....

وتَعجـبُ،

كيـف تفـرُّ الخَطايـا..

لتسـهرَ طيبـاً

علـى عتبـاتِ القلـوبِ،

ووردأ بـدرب الصَّبايـــا...

لعاشـقةٍ -أسـبلت جفنهـا،

لتلـمَّ الحبيـبَ المسـافرَ فـي الشَّـطْحِ-

هيـأتُ قلبـاً لقنديلهـا،

ليمـرَّ -ولا ينطفـي- فـي الشّـتاءِ،

وأطفـأتُ مِشْـكاتَها،

لتفوتَ إلى ظلّها فـي المقـامْ..

وتقـرأ فاتحـةً

للحبيـبِ عليـهِ السَّـلامْ..

وزينـبُ -بيـن المشـاعرِ-

تبدأُ مـن وجَعـي غيثَهـا

قمرٌ أسـمرُ

ويمـدُّ عباءَتَـهُ فـوقَ ظلّـي...

أطـير إليـهِ...

ويبقـى...

علـى شـرفتي

يَسْـهَرُ..

□□□

في رحاب معابدِ عشتار

لها، كل إسمٍ جميلٍ،
وكلُّ الصِّفاتِ لها،
والقَداسَةُ
زانيةٌ...
في معابدِ "أوروكَ"،
يا "بعلبكَّ" !! افتحي
شرفةَ الروحِ،
عشتارُ راكعةٌ
في مقامِ الجَسَدْ..
ومن يخبرُ النارَ؟!!
مرَّ المجوسُ،
ولم يقهر النجمُ شهوتَهُ
بالمبيتِ، فَضَلَّ،
ولم تفتح البابَ،
ظلت على عشقها

لإلهٍ
بنـى هرمـاً...
ليفضَّ بكـارةَ بحـرٍ،
من النيـلِ ينبـعُ...
يملأُ كفّيـهِ بـالملحِ
ينثرهُ فـوقَ طفـلٍ،
لـهُ، حَصَّـنَتْ رَحْمَهـا
- ليجـيءَ بـلا دَنَـسٍ
ويقيـمَ الحـدودَ -السَّـماءْ...
لبـابلَ جنّاتُهـا...
حَدَقـاً -راقصـاتٍ علـى الجمـرِ-
يسـجدنَ،
في جسـدٍ لا يليـنُ
لغـيرِ الـذي يسـتجيبُ
لفقـهِ المـروقِ،
ليمسحَ مـا سـجَّلتهُ مشـيئةُ
عشـتارَ، فـي لوحهـا
الأزلـيِّ....
لِهدْهُدِ "تُبَّـعَ" عـارُ النَّدامـةِ،
حيـن اسـتعادَتْ تمائمهـا
أشـعلتْ نارَهـا -بالتَّمـائمِ-

بلقيسُ....
لا....
لم تَلِنْ لنبيٍّ،
وفيروزَةُ التاجِ،
بعضُ الذي اختطفتْهُ من
الشَّفَقِ المُنْتَمي للقَداسَةِ،
قبلَ ارتقاءِ "مَنَاةَ"
إلى حالقِ السِّرِّ،
قبلَ "انحسارِ النظَرْ"..
واعدتني فضاءً،
بهِ نلتقي،
في رحاب المُطَهَّرِ
من جسَدينِ،
لنقضيَ أمراً....
ولا زلتُ
من حينها - في مدارٍ
من الشَّوقِ-
ميلادَها، أنتظرْ...
هل تَفي؟!!!
ربَّما أخلفتْ وعَدها
لتصيرَ بشَرْ...
□□□

شحرورةٌ من زَبَدْ....

السَّماءُ، علـى حافـةِ البحـرِ،
تغمـسُ شـفَّتها النّازفَـه..
تـذوبُ ثلـوجُ الشَّـمالِ،
فتطبعُ قبلتَهـا فـي جبيـنِ الشّـراع
شقيقاً
وفـي مَغْطَـسِ الشَّـمسِ ترمـي
أسـاورها لنجـومٍ
رأت نفسَـها -فجـأةً- فـي المرايـا
عرائـسَ مـن عَسَـلٍ
عندَ بـابِ الهـوى واقفـهْ..
لشـلاّلها الذَّهبـيِّ انهمـارُ
الـرُّؤى فـي العيـونِ،
وايقـاعُ أفئـدةٍ ناطِقَـهْ..
يا لَهـا...

سَـحرَتْني....
أأمضـي إلـى مهْرَجـانِ المسـاءِ،
بقلـبٍ توقّـفَ بيـن يديهـا؟!!!...
فلا هـيَ تُعطـي، ولا هـو يقطـفُ
مـن كرمهـا، وردةً خائفـهْ...
أم " ارجـع "؟!!!
كيـفَ؟!!!
ومن يُطلـقُ السَّـهمَ حتـى مـداهُ
ليُدْمـي فـؤادَ المسـاءِ،
فـيزهر –مـن جرحـه– الأُرجـوانُ
– علـى وجنـةِ الأُفـقِ–
أغنيـةً راعِفَـهْ..

يالهـا...
لا يمـرُّ الزَّمـانُ...
علـى بابهـا يسـتريحُ...
لأبقـى –علـى شـفةِ الأقحـوانِ–
ولَـدْ...

تظـلُّ تجـوبُ المـدى
– مـن معـابدِ "أوروكَ"
حتـى أوابـدِ "عمْريـتَ"

شــحرورةً مـن زَبَـدْ..
تُـراوِدُ أشـياخَها
فـي الرَّقيـمِ...
ولـلرُّوحِ –فـي لحظـاتِ انخطــافِ
الجَـوارحِ
خلـفَ
حـدودِ الخيـال–
جَسَـدْ...

□□□

وما أخطأَ القلبُ...

ومـا أخطـأَ القلـبُ...

لكنْ

يـدي أخطَـأتْني...

ودقّتْ علـى بابهـا...

فَتَحتْـهُ قليـلاً...

مُـوارِبَ، كـانَ...

وكنـتُ -علـى سـعتي- أمتطـي

سَعفَةً مـن ظلالـي...

وأعـبرُ،

أُشعلُ أغنيتـيَ مـن ضيـاءِ

يديهـا....

تَوَهَّـج....

غنَّيْـتُها "مئـةً" مـن عيـون القَصـائد،

مـا أسلَسَـتْ للبيـانِ،

فأحرقتُهـا،

جَمْرةً، جمْـرَةً

لأدَفِّــئَ...

....

....

ما أخطـأ القلـبُ

لكـنْ!!!

يـدي أخطــأَتْني....

ودقَّـتْ علـى أختهـا،

فبكتهـــا....

أيعقـلُ؟!!!

سـبحانَ مـن أمطـرَ العيـنَ،

من أشــبعَ الطَّـيرَ،

مـن أسْبَلَتْ مقلتيهـا،

وأَصحَـتْ عيـونَ الجـراحْ..

ومـا أخطـأ القلـبُ...

لكـنْ!!!

يـدي حَمَلـتْ جُرحَـهـا

مـن جـراحِ الفُـؤادِ سِـفاحْ...

لهـا؟!!!

يا لَهـا!!!

ذاكَ مــاضٍ

رمى جمـرةً فـي الفـؤادِ

وراحْ..

□□□

صـــلاةُ الغائب...

توضـّـأَ حبـلُ الوَريـدِ،
ووارى منَاديلـــهُ،
- عـن شـراعِ النّـدى-
واسـتراحْ..
ليسـمعَ شَقْشَـقَةَ الفجـرِ،
أفتى ببـدءِ الغنـاءِ،
لسـربِ العَصـافيرِ،
والصُّبْـحُ لاحْ..
اسْتحمَّ -علـى عَجَـلٍ-
تحـتَ مـزرابِ شَـمْسٍ،
تَعَجَّلها الأُقحـوانُ...
لينفضَ عـن تاجـهِ هالـةً
من نعـاسٍ،
ويعقدَ زنّـارَهُ الجُلنّـار،

ويعقدَ صلحاً مع الوردِ،
ليلكِ وردٌ...
وصبحكِ شَهدٌ...
وكلّيَ -منذ ابتداءِ الغناءِ
إلى آخرِ اللّيلِ - سُهْدُ...
لعينيكِ أقرأ دُرَّ القَواميسِ
حين تَضاحَكَ -في كأسِ خمرتهِ-
الأرجوانُ...
فجدّلتُ -في ساعةٍ من صفاءٍ-
ضفائرهُ، في كتابِ المواجدِ ورداً،
وَرَدْتُ مواردَهُ، فاستقامَ
- على عرشهِ- مَلِكاً للزّمانِ،
تَسامَقَ كي يحضرَ الصُّبحَ
- قبلَ ارتشافِ الثّمالاتِ - نهدٌ..
لياليكِ وردٌ...
وصبحكِ شهدٌ...
وعطركِ ندٌّ...
وما بين ليلكِ، والصُّبحِ، والنّدِّ
قلبيَ عَبْدٌ..

وخـارج وردِكِ، والشّـــهدِ، والعطــرِ،
قلبيَ نِـدٌ..
قُلامـةُ ظفـريَ زنـدُ..
وبَحـريَ مَـدٌّ...
ومـوجُ هـوايَ مـدىً لا يُحَـدُّ..
فهـلاّ قـرَأْتِ قواميسَ عشـقي؟!!!
لأبدأ مـن شـفتيكِ القَصيدَ
أُعِـدُّ..
لكِ المجدُ مـن أمـلٍ،
يتقـاذفُ أطيافَـه
– المترفـاتِ بفيضِ الصّبابـاتِ– قَصْـدُ..
نطَقْتُ بهـا،
لـم أَقُلْهـا –ورَبِّ السَّماواتِ– إلا لمامــاً
ورُبَّ انعقــادٍ،
يُغالبهُ في الوصـولِ إلـى لبَّـةِ النَّحـرِ
عِقْـدُ..
لـكِ المجـدُ أدخلتنــي
عَتبَـاتِ الخلـودِ
بوجـهٍ
تـراءى أمـاميَ كـلَّ الوجـوهِ

فأدمنتُ تسعينَ منها،
وعنها، كتبتُ قصائدَ
من شفق قرمزيٍّ ونارْ..
وفي هَدْأةٍ، هَدْهَدَتْني بقايا التفاصيلِ،
لمْلمتُ عشراً،
أيكفيْكِ؟!!!!
إنَّ وجوهَكِ -في حُسْنها-
لا تُعَدُّ...
لكلِّ كتابٍ أجَلْ...
لندْفُنَ ما كانَ في واحةٍ من جنونِ
القبلْ..
ونبكي على روحهِ فيضَ دمعٍ
سخينٍ،
يذوبُ على صفحةِ الخَدِّ،
قطرَ ندى، من عَسَلْ..
فتروى شفاهُ الورودِ،
ويُزهرُ في صفحةِ الوردِ خَدٌّ..
فهلْ نلتقي -صدفةً-
في الطَّريق؟!!!
نُسَلِّمُ...

أو لا نُسـلِّمُ...
فـي الحـالتينِ، نَظَـلُّ ابتهـالاً
لعُشّـاقِ هـذا الزّمـانِ،
إلينـا الرِّحـالُ
- جميـعُ الرِّحـالِ-
تُشَـدُّ...

□□□

زمــنٌ أخضــرُ...

لحظــةٌ تختلــفْ..
لسـتُ أدري، أنــا جــالسٌ،
فــي سـرير الزّمــانِ،
أم "انّــي" ألــفٌ المـدى
والزّمــانُ يَقــفْ..
دمعةٌ تتَلَجلَــجُ فــي مقلــةِ الـرُّوح،
والـرّوحُ -مـن روعــةِ الحــالِ-
طـوراً كثيـفٌ
وطـوراً يَشِـفّ
لحظــةٌ كــالرَّبيعِ،
الحضـورُ فواصـلُ بيـن الكرامــاتِ،
كلُّ الغيــابِ أتــى
لـيرى صـورةً لـن تُكَـرِّرَ أجزاءَهـا،
شـربتْ ضَوْءَهـا

والشَّريط -كما أنَّهُ

ينتقي ما نَشاءُ- يُلفُّ..

زمنٌ مُمعنٌ بالتّماهي

بكلِّ تفاصيلِ هذا المكانِ،

يُرَتِّبُ أقواسَهُ قُزَحاً

من رذاذِ الغناءِ

الذي فَجّر الرّقصَ،

صار لكلِّ مهيضٍ جناحٌ...

يطيرُ...

وبعد "ثلاث" يدقُّ الخُطى بالكثافَةِ،

تشتبكُ الذّبذباتُ،

المكانُ اشتباكٌ،

وزوبعةٌ من أريجِ نساءٍ،

يَبُحْنَ باوّلِ سرٍّ لمن أحرقوا وقْتَهُمْ،

- في زوايا قلوبٍ- دماءً

تُرويّ شآبيبَ سَرْحَاتِهم، لا تجفُّ

أنا؟!!

بين واعٍ، ونصفِ مُصَدِّقٍ،

قد كنتُ لوناً، وعطراً،

وشبَّابَةً، وجناحاً،

وحزنـاً تجلّـى علـى فـرحِ الـرّوحِ،
دَفْقاً شـفيفاً
يكادُ يطـيرُ
فأمسكَ أذيالـهُ
بانتشاءِ وليـدٍ،
يلمُّ معالمَ ثَدْيٍ، تمـاوجَ بيـن يديـهِ
يَلُـمُّ..... فينـداحُ....
يبكـي، ويضحـكُ،
يَشْرَقُ بـالفَرحِ المُسـتحيلِ،
وفيـضُ الرَّحيـقِ هَمَــى....
واللَّهاةُ تسـيلُ إلـى معبرِ القلـبِ،
حتـى ببحـرِ الرِّضـى تَنْفَـعُ العَـثَراتُ،
ولا بـدَّ للمسـتَجيبِ للحـنِ الشِّــراعِ،
– علـى هـودَجِ المـوجِ – مـن عاصِفَــهْ..
سـماءٌ – بأنوائهـا– راعفَــهْ..
حضـورٌ، عبرتُ إليـهِ، نَـدىً أخضـراً،
فـي شـرايينهِ، المُرهَفـاتِ، مَشَـيْتُ،
فَضَـاءٌ يَمـدُّ المـدى بمـداهْ...
جـذوريَ –فـي كـلِّ هـذا المـدى– أَشْرَشَـتْ،
في قلـوبِ اللآلـي،

وأضلعِ كلِّ الصَّدَفْ،
حضوريَ كان كثيفاً
ودَمعيَ من قالَ جَفّ..؟!!
وجاءَ جلالُ محيَّاكِ،
لفَّ المدى غامراً، غامراً،
لم أعُدْ ما أظُنُّ...
انتميتُ إليهِ،
رؤىً... شَامَةً،
رفَّةً، مُقْلَةً، وردةً،
كَرَزاً ساجداً في مقامٍ
تجاوزَ كلَّ التَّفاصيلِ،
كلَّ الحدودِ....
حَلَفتُ لأكتبَ فيهِ الذي
لم يُقَلْ لمحيَّا
وأنِ أنثرَ القلبَ شعراً خضيلاً،
إلى أن تصيرَ القصائدُ نَهراً،
حَلَفتُ -بمحرابِ هذا المُحيَّا،
إلى آخرِ الدَّهرِ - أن أعتكفْ..

□□□

لغـــة الأرقـــام

أربعــه....
ثلاثــةُ...
أنتِ، وما ظـلَّ منَــي
وزنبقـةٌ فــي إنــاءْ...
وغـابَ البقيَّـةُ
أنتِ، ومـا كـان منـيَ، وظـلُّ المسَـاءْ..
نُعيـدُ...
بقيَّـةُ قلـبٍ، وذكـرى
وكرْجَـةُ دمْعَـهْ...
إذنْ، زَوْبَعَــهْ..
غـرامٌ وأشـلاؤهُ أربعــهْ..
أتسألُ مـن كـانَ يومـاً مَعَـهْ..؟!!!
نَطـيرُ معـاً...
ونعـودُ معـاً...

قد تحيَّرَ ما بيننا قمرٌ
فتَكلَّلَ -فوق ذرى عشقنا-
صومَعَةْ..

دعِ الأمرَ،
كان "يُدَوْزِنُ" قيثارَهُ
في مدى "الصُّولِ"
طارَ شرارٌ من "البَمِّ"
- من غير قصدٍ-
فأحرقَ -في دمنا- أضلُعَهْ..
تَحَلَّلَ.... قصَّ.... وخاطَ،
وأطعمَ من هَدْيِهِ
- كلَّ هذا الحجيجِ- سَميناً...
وأسقى على شَرفِ الحبِّ
- أهلَ الكُشوفِ، وكلَّ المجانينَ-
من دَوْرَقٍ واحدٍ،
وتَمتَّعَ، لم يَسألِ المستفيضَ
بعطرِ الذَّوائبِ،
من متّعةْ..؟!!!

بدأنا نُعيدُ الشَّريط-
الغيابُ يُطلُّ...

- يَرى إنْ نَسينا الأَسى فيئَنُ...
فَتَهمي على بعضنا يطمئنُ....
يغيبُ.....
نمدُّ أصابعنا....
تلتقي...
والمسافةُ تقصرُ...
كلُّ الغيابِ حضورٌ،
بحُمَّارَةِ الصَّيف نَروي ظمَانا...
نُفجِّرُ من قُبلَةٍ جدولاً للصَّباحِ،
ونقطفُ من كلِّ خدٍّ
- لنَشْكُلَها في قميصِ المسا-
وردةً يانعهْ...
بشرفةِ ذكراكِ، أروي
شُتولَ الحبَقْ...
وأشربُ كأساً لأنسى
تفاصيلَ يومٍ سَبَقْ...
يُفاجئني الجُلَّنارُ،
أُقلِّبُ جمرَ الفؤادِ، ولا أحترقْ...
يُذكِّرُني بالأَليفِ...
فأخفي -لكي لا يرى دمعتي- قمراً

وصباحاً بطيء الحظى... وشفَقْ...
والمسافةُ جسرٌ إلى الرُّوحِ،
أَعَرَضُ مما يُظَنُّ
على آخر الجسر تبقين
وعداً يلوحْ..
أُلملمُ عن شفتيكِ الأسى
ونَفوتُ إلى بعضنا لهفتينِ،
نُديرُ الكؤوسَ
ثلاثةً...
أنتِ، وما ظلَّ منّي،
وزنبقةٌ من مساء،
ونطلعُ -في آخرِ اللّيلِ -صبحاً شفيفاً
نهارْ....
يسابقنا ضوءُهُ للوصولِ
إلى شرفةِ الانتظارْ....
ونبقى -معاً- في مدارِ الهوى
فنصيرُ بهِ... أربعةْ...

□□□

- .. نهاجرُ للمُنتهى...

زمانٌ تَهَيَّأَ -فوق الزِّنادِ-
ليطلقَ آخر سَهْمٍ لديهِ،
فضَيَّعَ -حين استوتْ لحظةٌ
واستقامة خَطٍّ "الشُّعَيْرةِ"-
من يدهِ، إصبَعَهْ..
وحيداً - على شَفَةِ الجرحِ-
يقرأ أشعارَهُ للرِّياحِ.....
فكيفَ؟....
أيقرعُ أجراسهُ
ليلمَّ الثَّواني -من النَّبَضاتِ-
ويعبرَ
فوقَ الأحَدِّ من السَّيفِ،
في قفزةٍ في الفراغِ،
ليبدأ أزمانَهُ الموجِعَهْ؟!!!...

تفيقُ الجـراحُ.....
تغني لـه -فـي قفـارِ العـروقِ-
أغـاني الرَّحيـلِ،
وتـروي لـه قصصـاً مُـفــزِعَهْ...
بنا يبتدي الخلـقُ لونـاً
مـن الإثـمِ.........
نكتـبُ -أسـفارَهُ- بيدينـا،
ونَنْحَـتُ " أَخْبَـارَهُ " مـن ثلـوجِ قلـوبٍ،
تَـذوبُ علـى قدمينـا...
نمـرُّ... وتَبقـى -علـى شُـرفاتِ الخُطـا -راكعَـهْ..
نُهـاجرُ للمُنتهـى...
عـلَّ "سـدرتَها" تمسـحُ اللَّـوحَ
- فــي حضـرةِ الحـقِّ والمرسـلينَ-
لنكتـبَ أزمانَنَـا الرَّائعـهْ...

□□□

- قطَّةٌ من سُباتْ....-

على مخدعِ الأمنيـاتْ....

-بحضـنِ يـدي-

يدُها قِطَّـةٌ مـن سُباتْ...

على هـدأةٍ

كنـتُ أقـرأُ -فـي كفِّهـا- المُشـتهى....

تُصـدِّقُ -مثلـيَ-

نَرحَلُ، خلـفَ قطيـعٍ مـن اللَّيـلِ،

طيبـاً... مَسيلاً مـن الهَمَسـاتْ...

الغيــابُ؟!!!....

كما لوحةٍ فـي المسـاءِ

تـودِّعُ رسَّـامَها

بـالخضيلِ مـن العـبراتْ....

عـبرتُ -وراءَ الخيـالِ- أُفتِّشُ، حتـى أقــاصي البــلادْ...

وحيـنَ تعوديـنَ،

أمـلأُ كـلَّ البيـاضِ "سـوادْ"...

وحينَ تعودين،

أرواحُنا في عيونِ السَّماءِ سُهادْ...

وأَسماؤُنا في كتابِ الزَّمانِ خلودٌ

وعنوانُنا، نبضةٌ في فؤادْ...

مقاماتُنا تُحفةٌ من خيال،

وكلُّ الوجودِ -بغير مقاماتنا- من جمادْ...

بعينيكِ كلُّ الصَّباحاتِ

تخلعُ قمصانَها.... تستحمُّ

يمرُّ الهوى قبلتينِ

- على جبهةِ الرِّيحِ- تُذرى رمادْ...

يُسافرُ في عُرْيِها، يَستعيدُ صباهُ،

يُرتِّلُها من كتابِ الحَساسين

موعظةً..... سورةً من رَشَادْ...

أتشكينَ من رَعْشَةٍ في المساءِ؟!!!

احرقي شَعرتينِ... أجيءْ....،

وكل الجبالِ، تخرُّ على ركبتيها،

تصير مهادْ...

بسفرِ الهوى، عِشْق كلَّ العبادِ بسطرٍ،

ونُكْمِلُ... يَنْضُبُ حبرُ الوجودِ،

فنملأُ -من موجةٍ أطلقتها يدُ اللّهِ-

دورقَنا بالمدادْ...

شـريطُ المواقيـتِ مثـلُ سَـحابٍ، غـدوقٍ،
يَمـرُّ، ولا تنتهـي "الكلمــاتْ"...
فكيـف يُفاجئنـا الصَّمـتُ عنـد اللّقــاء؟!!!
ومابيننا وَمْضَــةٌ مـن سـراجِ نبـيٍّ
على قلبــهِ النبَـويِّ
يَلُـمُّ الجهـاتْ...
وكيـف نقـول الـذي لا يُقـالُ؟!!!
وما بيننا دمعــةٌ مـن جفـونِ "ولـيٍّ"
توضّـأ فـي عشـقهِ -ليصلّـي- فمـاتْ...
لنشربَ مــنْ ذكـرهِ
-لخلـودِ النواميـسِ، فـي العاشــقين...
ولـوْ قَطَـراتْ...
فيـا جوهـراً، لسـتُ أدري عنــاصِرَهُ
بالتّمـامِ
وأعـرفُ أنّـي مـاكنتُ صلصالـةً
أو رمـاداً
ومـاكنتِ مـن مفـرداتِ ، العَمـاءْ
ونـوركِ -فـي مفـرقِ للريـاحِ- سـراجٌ
تَفيـقُ علـى فجـرهِ الشُّـرفاتْ...

□□□

- بيانٌ للحرِّيَّه....-

لـهُ........

ذلـكَ الملـكُ المـترفُ اللَّفتـاتِ،

الـذي قمَّرَتْـهُ الرِّغـابُ،

علـى وَهـجِ الاشـتهاءِ....

لـهُ.... مالنـا،

وعليـهِ...... أمـانُ الأَمـانِ

يفزُّ -مـن الصُّبـحِ حُـراً-

كمـا أرنـبٍ، - فـي محيـطِ سَـناهُ- تَقـافَزَ،

يوقـظُ بسـتانَهُ للفطـورِ،

جَنَـى نحلتيـنِ،

وتفّـاحتين تقمَّرتـا فـي كـرومِ الرِّغـابِ،

حليـبَ غزالـهْ....

يفتِّشُ عن حَسْـوَةٍ فـي شـفاهِ،

تَحَيَّرَ فيهـا الحَـرامُ،

فمرَّتْ قَوافيـهِ فـي قَفْلَـةٍ

من مقـامِ الحَـلالْ...

تَمـرُّ الأَراجيـحُ تُعطيـهِ مفتاحَهـا

لـيُرَوِّي عُـروقَ الشِّـفاهِ،

ويشـربَ مـن رَعَشـاتِ الأنـاملِ،

فنجـانَ قهوتـهِ اليَمنـيُّ

المضمَّـخِ بـالقبلاتِ،

يجـنُّ....

يقـومُ، لكـي يسـتعيرَ جناحـاً

ويلحـقَ قـاطرةَ الثّـائرينَ...

ويـتركَ أطيابَـهُ فـي الجهـاتِ....

فتبقيـهِ بيـن يديهـا....

تُزيـحُ مفاتِنَـهُ عـن عيـونِ السَّـريرِ،

ليوقـفَ هَزّاتِـهِ تحـتَ قـوسِ اللّهيـبِ،

وتُزقِمَـهُ، كالحمـام، مـن الضَّـوءِ مـا شـاءَ،

حتى ينـامَ

وتَنْـثرَ -مـن شَـعْرِها فوقَـهُ-

نُتَفـاً مـن ظـلالْ....

تَقومُ، وتتركُـهُ فـي السَّـريرِ،

تَحَمَّصَ في جمـرهِ فاسـتوى
كلٌّ شـــيءٍ،
ومـالَ علـى الصَّـدرِ
شـيئاً ، فشـيئاً....
ومـالتْ عليـه... قليـلاً قليـلاً...
تَضَـوَّرَ...
في فمهِ جرعتـانِ مـن العَسَـلِ المَلَكـيِّ
ومـالْ
تَلَقَّفَتْـهُ....
سَـمَّرَتْني شـفاهي
تَمَهَّـلْ....
فلا تجـرحِ
النَـوْم فـي الحلْمتيـنِ
تمهَّـلْ...
ليـأتي إليـكَ -مـن الصَّحـوِ-
فـي موكـبٍ مـن دلالْ...
ليفتـحَ بـابَ القميـصِ إلـى منتهـاهُ...

ويحرقَ حمالـةَ النَّهـدِ حتـى الرَّمـادِ،
ويكسـرَ قيداً، تـوارثَ عشـقَ الزُّنـودِ
الطَّليقَـةِ، مثـلَ سـوارٍ،

وأَفْتــى......
بوضـعِ القَواريـرِ
في مخـدعٍ مـن حَريـرٍ،
وأفتـى بقهـرِ الرِّجـالْ...

□□□

- مستودعُ الأسرار...-

ياقوتـةٌ للسِّـرِّ؟!!! لا... ياقوتتــانِ،

منهمـا، نيســانْ...

يهزُّ كـلَّ برعُـمٍ،

يسـقيهِ - مـن ألوانِـهِ-

طيفـاً،

ويكسـرُ الفنجـانْ...

فيروزتـــانْ.....

مـن مقـالعِ السَّماءِ،

مهرجـانُ لؤلـؤٍ،

تكسَّرَتْ -علـى ضفافـهِ-

الأَلـوانْ...

جزيرتـان من خضيـل الـدَّوْحِ

ما غفا -فـي ظلِّـهِ-

إنســانْ...

مسافرٌ فـي اللَّونِ،

لا الوصـولُ ممكـنٌ

ولا الرجـوعُ ممكـنٌ

وبيـن ذا، وذاكَ

تشـتكي مظلَّتـي،

مـن رِقـةِ المُطْـرَفِ،

مـن عذوبـةِ اللّسـانْ..

ومـن طَرافـةِ الحديـثِ،

لا أسيرُ للأمـام

أو للخلـفِ

بلْ مُسَمَّرٌ في لوحـةٍ،

سبحانَ مـن سوّى طيـوبَ

الـرَّوضِ طرحـةً للعيـدِ،

بل سبحانَ مـن قـالَ:

انحنـوا –فـي الرَّكعـةِ الأولـى –

لهـا.....

وإن قرأتـم آيـةً

–مـن سـورة الرحمـنِ–

سـلَّموا....

وحرِّكوا البنانْ.... □□□

- تخايلتِ في قدحي..

أُصبِّحُ كلَّ مساءٍ عليكِ
ونارُكِ تزدادُ، أمسكُ قلبي
- على وجعٍ- كي يظلَّ معي...
لو تركتُ العَنانَ،
لطارَ -إلى شرفةٍ من حنايا،
حبتها أنامُلكِ اللاهياتُ "بفازةِ" وردٍ-
يُبدِّلُ ماءَ الزَّنابقِ، في "المشربياتِ"،
يقرأ - في شاشةِ الوجهِ، هذا المقدَّس-
ماسوفَ يأتي....
جميلٌ هو الحزنُ...
يفتحُ للدَّمع باباً، وللقلبِ نافذةً للحنانْ...
فما كانَ؟!!!...
كانْ
شريطٌ من الفرحِ المُسْتَحمِّ بنبعٍ

شفيفِ المواجعِ والجمراتْ...
قلوبٌ -عليها- تطوفُ العصافيرُ
بين الصَّفا والشَّغافِ،
جميعُ الدِّياناتِ، والكفرُ، حتى مسيلمةٌ وسجاحُ،
يجيؤون ، والناقضاتُ -بعزِّ الضُّحى- غزلهنَّ
كمن فاجأتْهُ الرِّسالةُ حبواً...
نهزُّ -معاً- نَخْلَةَ الرُّوحِ
تَسَّاقَطُ الرُّطَبُ المُشْتَهاةُ...
فننقضُ كلَّ الغزولِ،
"فيانارُ كوني"... بَراني حبيبٌ،
يُلوِّحُ للعشقِ خارجَ بحرِ اللِّسانْ...
السَّماءُ؟!!! -كما لستُ أعلمُ -
تبني جسوراً إلى الأرضِ،
والأرضُ تصعد من ضفَّةِ الوجد
حتى عنانِ العنانْ..
فمن يرجمُ اللُّغةَ... العَيَّ
حتى تُفجِّرَ ياقوتَها والجُمانْ...
وتُشعلَ -في النَّحوِ والصَّرْفِ والاشتقاقِ-
"سؤالَ البلادِ- الذي فجَّرَ العشقَ صمتاً....
ففاضَتْ بحورُ المعاني...

ببـابِ الوريـدِ المبـاركِ بـالجُرحِ كـان اللقـاءُ،
إلـهٌ تَعَطَّـرَ بالشَّـوقِ،
يبحثُ عن ذاتـهِ عبر سبعٍ مثـانٍ...
رقـاقُ القلـوبِ، نوافـيرُ
تصعدُ فـي جمرها لمقـام "أنـايَ"
وتَختمُ فـي حضـرةِ النّبضـاتِ الكتـابَ،
وتتلو بمحـرابِ عينيكِ آياتِها المحكمـاتِ،
ومن ضفَّـةِ الوجدِ تبدأ "زينـبُ"
دربَ الصعودِ، لكـي لا تعودَ إلـى مـا "تَشَـابَهَ"
مـن يقـرأُ اللـوحَ غيري وغـيركِ؟!!!
ياسـدرةَ العشـقِ، كنتُ وحيـداً،
تَخـايلتِ فـي قَدَحي
فعبرتُ إلـى المنتهـى........
ملكـان...... نُبـاغتُ أسرارَنا فـي العَـراءِ،
ومـن عُرْيهـا.... نبـدأُ الجَسْرَ بيـنَ الحيـاتَين،
- آهٍ علـى الإثنتيـنِ
ونُعلـنُ ديـنَ القلـوبِ،
فَتـأْتَمُّ فينـا الـدُّروبُ...
نَـذوبُ...

وليسَ مـن العاشـقينَ

الـذي لا يَـذوبُ..

وفي دِيننا، قـد يَفـرُّ إلـى الذّنْـبِ،

مـن جلَّلتـهُ الهدايَـةُ،

أو قاربَتْـهُ – ببـابِ المُصلّـى،

علـى سُكْرِهِ بـالحَبيبِ –الذُنـوبُ....

□□□

- سـيدةٌ مـن حبـقْ...-

نَرجسٌ مـترفٌ

والزَّمـانُ نَـزَقْ...

والسُّؤالُ، علـى شَـفتيهِ، قَلَـقْ

- سَـأَلْتُ: أَتَقْـرَأُ؟!!!

- قـالَ: بلـى.....

- فقلـتُ: البنفسـجُ شـوقٌ،

يَسـيلُ علـى شـفرةِ السَّـيفِ،

هامَ بقاتلـهِ -منـذُ عـامٍ-

فنامَ على زنـدهِ، لـم يَفِـقْ...

سـأهديكِ مـن جرحـهِ قَطرتيـنِ،

ومـن نـورهِ كوكبـاً مُؤتلِـقْ...

ومـن طَعمـهِ نكهَـةَ الكسـتناءِ،

تُحَمَّصُ فـي قلـبِ مُدْنَفَـةٍ،

ثم -حيـنَ استوتْ- لمَّهـا فـي جنـونٍ،

مخافـةَ أن يَصطلـي قلبُهـا- فــاحترقْ..
فأشـعلَ إصبعـهُ شـمعةً
فاشـتهاها، وضـمَّ الجنـاحَ -عليهـا- الطَّبْــقْ...
ومـن لونــهِ رقَّـةَ الياسـمينِ،
نقـاءَ سـريرتهِ، وشَـذاهُ العَبِـقْ...
ومن عطــرهِ، فـوحَ لـوزٍ
صحـافي سـماءِ، "أَذِرْعــاتَ"[1]
فاحتـارَ أيـنَ يـروحُ؟!!!
فجـاءَتْ إليـه بأسـرارِ كـلِّ المليحــاتِ،
-خلـفَ السّـتائرِ- و"المشـربيّاتِ" - كـلُّ الطُّـرُقْ...
- وقـالت: لمـاذا تُسـمِّي قصـائِدَكَ النّازفــاتِ
بأسـماءِ أحلـى زهـورٍ،
- فقلـتُ لهـا: ذاكَ شـوقٌ قديـمٌ
تمرَّدَ -فــي دَنــهِ- فـانبثقْ..
أيـا امـرأةً "مـن حليـبِ العصـافيرِ"...
يَنغـلُ فيهـا الرَّحيـقُ،
ووجنتُهـا مـن حليـبِ الشّـفَقْ...

---

[1] أذِرعاتْ: اسم قديم لمدينة درعا، وهي مركز محافظة في جنوب الجمهورية العربية السُّورية.

أُلاقيكِ...

ينهضُ -في جانحيَّ- الشُّموخُ،

فألقي بأَجنحتي.....

كي تَظلَّ المودَّةُ صادقةً

بينَ "عطرٍ"

و"جُرحٍ"

وسيِّدةٍ من حَبَقْ...

□□□

- لاشيء أكثر... -

تعـالي، لنجلسَ... نَرتـاحَ.....

لاشـيءَ أكـثرْ..

قلبـي، علـى صهواتِ أنـاملكِ المُترفـاتِ،

يروحُ إلى آخـرِ الحلـمِ

يسـمعُ وقـعَ خطـاهُ عميقـاً...

ومـن قبَّـةِ الصَّدرِ، يسمعُ عـزفَ الشَّـرايينِ،

أنـهارُهـا المُترعـاتُ، تمـرُّ سـريعاً

فـيركبُ "صَنْدَلَـةً" مـن ضلـوعِ الـيراعِ،

ويمضـي إلـى وَهْدَةِ الـرُّوحِ،

يفردُ أشياءَهُ فـوقَ مـرجٍ من البَـوْحِ،

تفَّاحَـةً... قلَمَـا أبيضـاً، كنهـارٍ مـن الياسـمينِ،

لَفَافَـةَ تبـغٍ، وممحـاةَ مـن سُـكرٍ، وَوَرَقْ...

وقُرطيـنِ، مـن كـرزٍ، عاشـقينِ،

وأسـئلةً "كَزْبَـرَتَ" لهفَـةَ الوَصْلِ أجوبـةً من عَـرَقْ...

ولا شـيء آخـرَ...
نحكـي......
نلَـوِّنُ تفّاحَـةً
ومن فلقتيـنِ لفسـتقةٍ
مـن كـرومِ الشّـفاهِ، نعـبُّ الأَصيـلَ نبيـذاً...
ونطفـئُ قنديلَنـا -لينـامَ العَبيـرُ علـى عِطْـرِهِ
حينهـا؟!!!
نحـترقْ...
وكنَّا نُخبِّـئُ أسـرارنا فـي قميـصٍ
مـن المفـرداتِ الشَّـفيفَةِ ، كـي لا تُـذاعَ،
تركنـا أصابعَنـا تسـتريحُ.....
وكـلٌّ مشـى فـي طريـقْ.....
كمـا وَرْدَةٍ، وشَـذاها، بقينـــا.......
ولـمْ نفْـتَرِقْ....

□□□

- يعاودني العشقُ...-

لصوتكِ رائحةُ العَطَنِ الآدمـيِّ،
يمرُّ على وجعٍ لا يطيبُ...
دموعُ "الجواري" دمٌ راتبٌ
في القبابِ، وسجادةٌ للصَّلاةْ...
عليكِ السَّلامْ...
ببابكِ تاهَ الإمامْ...
بكى حين مرَّ يزورُ المآذِنَ
بعدَ الغروبِ،
فَلَمَّ تَسابيحَهُ من قبابِ المنابرِ،
أومأ للرِّيحِ تمشي على ركبتيها،
وتحملُ أشواقَهُ لصبيٍّ
يقبِّلُ أعتابَها، والعبادُ نيامْ...
مَشَى والجراحُ دلائِلُهُ للحبيبِ،
الذي غيَّبَتْهُ القلوبُ
فأحنتْ تَلُفُّ الضِمَادَ

-وتحميهِ من لافحاتِ الهجيرِ -الخيامْ...
عَشِقْتُكِ......
عدتُ على هُدُبي،
لأُمَرِّغَ وجهيَ بالتّربةِ "الدَّيْدَحَان"....[٢]
وأسمعَ دقّاتِ قلبيَ
قبلَ اشتباكِ الدُّيوكِ
بصوتِ الأذانْ...
وأشتَمُّ رائحةَ الشّيحِ
يختال عُجْباً بأطيابهِ
ويُباهي بنُضْرَتِهِ "العَيْصَلان"[٣]...
عشقتكِ، ثم بكيتُ عليكِ،
ومنكِ،
ومنكِ، عليكِ،
ورحتُ أسافرُ حتى
انتهاءِ الدُّروبِ،
وعدتُ بغيرِ دليلٍ،
يقودُ الخُطا، أو لسانْ...
سألتكِ باللّهِ

---

(٢) الدَّيْدَحَان: نوع من شقائق النُّعمان يتفتحُ في سهولِ حوران في فصلِ الرّبيع.
(٣) نبات له جذور درنيه ، يُطلق أسياخاً من الزّنبق النّهدي في فصل الرّبيع.

كيفَ السَّبيلُ
لأعلنَ عشقي
وأدفنَهُ في "بنيقَةِ" ثوبكِ،
تخريمةً من خيوطِ الوَفاءِ،
ومن حولِ جيدكِ أطواقَ
من لؤلؤٍ، أو جُمانْ...
وأينَ الذين إذا نطَقوا
أنصتْ الطّيرُ للمُحكماتِ؟!!!!
وأن سَكتوا؟!!!
تَرْجَمَتْ قَفْلَةُ الحاجبينِ
سطورَ الجَنانْ....
سألتكِ من أين يبدأُ
دربُ الخروجِ إلى واحةٍ
مارعتها الأيائلُ،
حيثُ الخطابُ كما مصحفِ الأنبياءِ،
وحيثُ الصَّديقُ - إذا هبَّتِ الريحُ
تعصفُ بالعَمَدِ المشْرَعاتِ - وَتَدْ....
وحيثُ الصَّديقُ إذا هبَّتِ الرِّيحُ
تعصفُ بالسُّفنِ الرَّاسياتِ سَنَدْ...
وحيثُ الصَّديقُ

إذا شحَّ قطر السَّماءِ
غُيوثٌ، مَدَدْ....
يعاودني العشقُ
أندهُ: عودوا.......
ولا تتركوها تنازَعها سائسٌ للأميرِ
وبائعُ أخيلةِ "الكيفِ" والماشطاتْ.....
تعالجُ أوجاعها بالسُّبَاتْ...
ولا تتركوها كما ريشةٍ
في مهبِّ الرِّياحِ
تقلبُها كيفَ شاءَتْ،
وتُلقي بها في العَراءْ...
ولا تتركوها ليُصلَبَ
-من غير ذَنْبٍ-
على بابها الأبرياءْ...
وأندهُ عودوا
عليكِ السَّلامْ...
ببابكِ تاهَ الإمامْ...
وظلَّ على موعدٍ للسُّجودِ،
بمحرابِ قلبكِ يا "أَذْرعَاتْ"...
□□□

- صَبيٌّ من الطّين... -

.. ولا من يردُّ الصَّدى..
مثلُ شبَّابةٍ جرَّحتها الرِّياحُ،
طريقُ المُريدِ انتهتْ
لجدارٍ من العارفينْ..
على عَرْشِهِ، يستريحُ صبيٌّ من الطِّيْنْ..
كلُّ المسيرِ سُدى...
بمن أَبدأُ الصُّبحِ؟!!!
هذا خواءٌ،
وفي شرفَةِ القلبِ
"مافي حدا"...
ليسكنَ هذا المدى...
لوحدي، رسمتُ ثمانينَ وجهاً..
لوجهٍ،
وفي البالِ -منه-

ثمـانون أخـرى...

فكيفَ لمن كـان مثلـيَ

أن لا يمـرَّ علـى آيـةٍ تتجلَّـى...

لوجهـكِ، أسـلمتُ أمـر القيـادِ،

وأشـرعتُ أبـوابَ روحـــي..

وسـرتُ وراءَ السَّـنا...

حـاملاً -فـوقَ ظهـريَ- وزرَ جروحـــي..

رسـمتُ -علـى مَهَلٍ- لفتـةَ الرِّيـمِ،

حيـن يُـراغُ...

نَدهـتُ، تَهـادى -علـى صَفْحَـةِ المـاءِ-

مثـلَ الشّـراعْ...

علـى مَهَل، كَـرَزاً ملكيـاً، رسـمتُ،

أنامِلَهـا، رفَّـةَ الهـدبِ،

كـلَّ تفاصيلهـا، روحَهــا،

كيفَ أدمنـتُ هـذا

الـذي لا يغيــبُ...

النَّبيـذَ الإلهـيَّ

هـذا السَّمار العجيـبْ...

المعجَّن بالعسـلِ اليمنـيِّ

ومن غوطةِ الشّامِ يصطافُ
-فوقَ ذراهُ- الزّبيبْ...
برأسِ الهوى قد حَلَفْتُ
لأحرقَ كلَّ حروفِ القَصيدِ،
-عن الوجهِ- حتى الرَّمادْ...
وأبدأَ من جمرةٍ
في الفؤادْ...
مشاوير جرحٍ جديدٍ...
كطيرٍ يُهاجرُ عن سربهِ،
تاركاً قلبهُ كوكباً راعشاً،
في سماءِ البلادْ...
ويسألُ: حين تصير الزَّوابعُ
-للرّاحلين- ضَريحْ..
أكلُّ الذي كانَ
-منذ فتحتُ الفؤادَ، على وسعهِ،
في مدارِ الهوى- قَبْضُ ريحْ؟!!..

□□□

(موقف للكلام...)

أُكحِّلُ جفنَ الصَّباحِ بنعمةِ وجهِكِ،
يرتعشُ الظِّلُّ من سَوْرَةِ العشقِ،
عنقودُ كرمكِ يفتحُ بابَ الدِّنانِ
على شرفةِ الوعدِ،
يقرعُ نَدَّاهَةَ البابِ،
تفتح كلُّ الحدائق أكمامَها
للبهاءِ،
تُخبِّئُ أسرارَه عن مساءٍ
تلامعَ برقُ اشتهاءٍ على شفتيهِ،
فنامَ على زندهِ في سرير المسَرَّةِ.
يَرعى قطيعاً من النَّمَشِ المُستَحِمِّ
يعطر قواريرهِ،
ويَهُشُّ عل شَامتينِ؟

فتأتي إليــهِ النَّوافيرُ
تشـربُ مـن راحتيـهِ حـروفَ الغنـاءِ،
يعـمُّ البيـاضُ كتـابَ العَصــافيرِ،
تُمعنُ فــي صمتهـا،
وتُلـوِّنُ ترنيمــةً
لنبيذٍ
مشــى حيـن لاحَ خيــالٌ...
وحيـنَ انتحـى جـانبَ النهـدِ،
ضجَّ بهِ العِشْقُ
قـالَ: "أنـا..."
واسـتحالَ رمـاداً،
وفَزَّ النَّبيـذُ علـى قَدمَيْـهِ،
يُقبِّـلُ وجـهَ الـذي ماوَعَتْـهُ العُقـولُ..
ولا استدركتْ حُسْنَهُ المُســهداتُ
السَّــماءُ؟!!!
نواقيـسُ مـن خَشَـبِ الـوَرْدِ،
تشـربُ أصواتَهـا فـيزيد الرَّنيــنُ،
وتغـرقُ فـي الصَّمـتِ،
ينهلُّ وجهُـكِ، يفتـح بـابَ العتـابِ،

فندخـلُ...
نقرأُ أقدارَنــا
في كتـاب الرَّحيـلِ
وأسـألُ: عمَّنْ يُقـايضُ...
ليسَ معي غيرُ نعـشٍ
وشـاهدةٍ للضَّريـحِ،
ووعـدٍ...
على مفـرقِ العُمـرِ
قبلَ ابتـداءِ الغيـابِ،
وبعـد دخـول المقـاديرِ،
رتلٌ طويـلٌ -كمـا أمَّةُ النّمـلِ-
قـالَ: نُقـايضُ....!!
أعلنـتُ لا مرّتيـنِ،
ولـذتُ وراءَ غلائـلِ صُبْـحٍ
تحيَّر قبـلَ الظُّهـورِ
ومـن خَشَـبِ النَّعْـشِ،
أَعْلَيْـتُ مُعتكَفـاً وانْتَحيْـتُ....
تركتُ علـى بابـهِ موقفـاً
للكـلامْ....

وأطلقتُ فـي أُفق الوَعـدِ

سـربَ حمـامْ....

هل تجــيءُ؟!!!!

لـنرحلَ -مثل عبـيرٍ-

إلـى كوكـبٍ لاينـامْ...

ونبقـى -وكـلُّ القلـوبِ

تفيءُ إلــى وعدِهـا-

قِبْلـةً لليَمـامْ....

□□□

(الحضور البَهيّ...)

إلى الأديب الرّاحل علي المصري

حـاضرٌ، غـائبٌ...
وجسـرتَ الحيـاتين،
مَيـتٌ، وكنـت الحضـورَ البَهــيَّ....
مـلأتَ رحـابَ المجـامر بــالصَّمتِ،
ها جرسٌ خطـفَ النّـارَ مـن موقـدِ الصَّحـوِ،
مـسَّ العـروقَ جميعـاً
كما ريشــةِ النّسـرِ،
تَتْسُـلُ آيَ القـرارِ جوابــاً
للحـنٍ ترتّـلَ فاعْشَوْشَــبَتْ
بـالصَّلاةِ ضفـافُ القلــوبِ،
وفـي مصحـفِ الوقْـتِ،
نقـرأُ أقدارَنـا والــدَّلالاتْ....
كيـفَ رحلــتَ؟!!!

وكنّا بقلبكَ دفئاً، وغيثاً،
كما كنتَ فينا بخوراً، وقاطرةً للعُبور
وبوصلةً للنّجاةْ...
الوفاءُ بكى مرّتين
لأجلكَ كي لاتغيبَ عن القلب
والباصراتْ....
عليكَ.....
دموعاً بحجم الغيابْ...
المقاعدُ -في صمتها- لاتبوحُ...
وتعرفُ كيفَ تُساسُ الخيولُ الأصائلُ،
كي تُتقنَ "الرّمْحَ" بين يَديِّ الخَليفةِ،
لاتبتئسْ...
كلُّنا -في رحابكَ- نعبرُ عاماً جديداً عُراةْ...
ومن وَحْشَةِ الغَابِ، دَهْشَةُ عينيكَ،
تَشربُ ألوانَها المُترْعاتْ.....
وتَهمي على غافياتِ القلوبِ مَطَرْ...
فتغسلُ أزمانَها الذّاوِيَاتْ...
لتعبرَ زورق بَوْحٍ تَهادى...
على موجةِ النّبضِ، منذُ الصّغرْ...
قرأتُ الشّرايينَ يَرقصُ فيها الشّبابُ،

على نغمـةِ الدَّمـع يَطْفُـرُ حزنـاً،
على زمـنٍ، يُقتَـلُ الميْتُ فيـهِ مـراراً....
ولامـن يقـولُ كفـى....
مـاجرى؟!!!! أوّلُ القَطْـرِ فـي عـالمٍ يحتضـــرْ...
بعينيـكَ أُشْـعِلُ شـمعَ الفـؤادِ،
لنبكي -معـاً- دمعـةً فـي الشّـآمِ
وأخرى علــى جسـر بغـدادَ قبـل دخـول الهـلالِ،
وأخـرى علـى ركـن بيتـكَ فـي "أذْرِعـاتَ"(٤)
وحـرّى -كمـا جمـرةِ الصَّيـف، إن دُحرجـتْ
من أتـونِ السَّماءْ-
على جسرِ هـذا الزّمـانِ، الـذي شـاخَ تحت الخُطـا،
وانحنـــى....
وحينَ نأتْ جُثّـةُ الميـتِ عـن قبرهـا،
ومَشَــتْ....
مرّتَيـن جَثـا...
ثمَّ خـرَّ علـى وجهـهِ، فانكسـرْ...
وحتـى الندامـى نسـوا دمعَـهُ -واقفـاً-
في ممـرِّ الشُّـجونِ،

---

(٤) أذرعاتُ و درعاتُ: اسمان قديمان لمدينة درعا في جنوب الجمهورية العربية السورية.

يُداري -على بعدهمْ- فـانهمرْ...
نَسوهُ -بـلا مُؤنـسٍ- فـي العـراءِ،
وكـانَ الزَّمـانُ مطـرْ....
فأمسكَ مـن قلبـهِ جذوَةً،
ثم أَشـعلَ قلـبَ السَّحابِ،
بسرٍّ التي شـربتْ مـن يديـهِ
كـؤوسَ الوفـاءِ،
لتعبر بوّابـةَ الوجـدِ فـي موكـبٍ
من بهـاءْ،
وكـان علـى عَجَلٍ فـانتضى سعفةَ الجـرحِ
أيقونـةً للعبـورِ إلـى خلـوةِ القلـبِ
يقضـي فـروضَ العتـابْ...
وكـان علـى عَجَـلٍ....
لوَّعتـهُ وغـابتْ....
فصـارَ علـى موعـدٍ ليفكَّ مغـاليقَ قفـل السَّماءْ....
ويفتـحَ أبوابهـا للذيـن انتمـوا للوفـاءْ...
ومـا فرَّطـوا بـالتُّرابْ
ليقطفَ تُفَّاحـةً، لحبيـبٍ تمـادى بـه دلُّـهُ،
في مقـامِ المشـيبِ،
وماعـادَ....

كـانَ –علـى عهـدهِ– دائمـاً...

دائماً، فــي سَـفَرْ...

تقلّدَ جـرحَ البـلادِ،

وقامَ يُبشـرُ بـالنّصرِ

سَحّاً.... سـكوباً

فقمنـا نَفـجُّ السَّـواقي –علـى وسـعها– فـانجبرْ...

أَجيئـكَ... أنـدهُ.....

مابيننـا موعـدٌ، وصفيـحٌ،

وأعـرفُ أنَّـكَ...... سـمعٌ صمـوتٌ،

فـأبكي علـى قـبركَ الموحـشِ الجَنَبَـاتْ.....

تقـومُ، تكفكـفُ دمعــي....

تقـولُ: الدمـوعُ لمـا سـوفَ يـأتي....

تقول: لأجلـكَ فُـتُّ مقـامَ السّـماحِ

إلى العَفْـوِ عمَّن يخوضـونَ بحـرَ دمـايَ،

ولـم أروِ عنهـم طـوالَ الحيـاةِ خـبرْ...

فليسَ لهم فـي مقـامِ الصَّحابـةِ ظـلٌّ،

وليـس لهـم فـي دروبِ الحيـاةِ أَثَـرْ...

هنـا مـن عرفـتُ –وراءَ الصَّفيــح–

بإيمـاءةٍ يجمعـونَ الشّـتيتَ،

بـلا زمـنٍ، ينـثرونَ حـروفَ الثَّوانــي
فَتَرعلُ كـلُّ القبـورِ زَهَـرْ...
نُدفِّـئُ أوصالَنـا بـالحديثِ الرَّطيـبِ،
ونترك في كـلِّ قبرٍ نـزورُ حمـاهُ ذِكَـرْ...
وفـي المـوتِ مثـل الحيـاةِ...
فتختـارُ ماشـئتَ مـن دوحـةِ العشـقِ
والأصدقــاء،
فدعهـمْ -علـى بعضهـمْ- ينفثـونَ تَعــاويذهمْ،
فيموتُ الرَّبيــعُ بـلا موعـدٍ، وتغـورُ ميـاهُ اليـنـابيع
-من حزنهـا- ويَجِـفُّ النَّهَـرْ...
فيـا "أذْرِعَــاتَ"!!!...
مضــى سيِّدٌ مـن ذراكِ سَما،
فـي حمـاكِ احتمـى، حيـن غـابَ الدَّليـلُ....
وكان كمـا بـيرقٍ من قمـاشِ الصَّحابـةِ
والأنبيـاء،
وظلَّ علـى عشـقهِ للـتُّرابْ..
وحيـن انتمـى للبيـاضِ
وأُدرجَ فـي كفنٍ زركشـتهُ العصـــافيرُ
بالأغنيَـاتِ
وسَـجَّاهُ أصحابـه فـي رحـابِ المسـرةِ والخلـدِ،

ضيفاً علـى الحـورِ والمرسـلينَ،
تَجبَّرَ من عميتْ مقلتـاهُ عـن الحَـقِّ،
كيفَ أقـامَ الحسـابَ "علـى كَيْفِـهِ"
سـاعةً ويزيـدُ،
ولم يـرَ نـوركَ فوقَ المحـاريبِ،
يجلـو قناديلَهـا بـالكلامِ المبـاركِ،
والطِّيـبِ والأُغنيـاتْ...
الـرُّؤى كيفَ عنـدكَ والأمنيـاتُ...
وكيفَ الأعــاريبُ؟!!!
دعهمْ علـى جهلهـمْ بالزَّمـانِ الـذي فـرَّق الشَّـملَ
دعهـمْ، فأحفـادهمْ -لاتَقُـلْ- فـي سُـباتْ...
قل لهـمْ: شـامخٌ مَجدُنـا، والغـلالُ وفـيرٌ،
خَتَمنـا زَمـانَ الفَسـادِ، وصرنـا بعصـرِ النَّهـابْ..
والخليـجُ تجـاوزَ فـي زحفـهِ الصِّيـنَ
هَيتَ لهمْ صـارَ نفـطُ النفـوذِ فُـراتْ...
وصـار "تتـارُ" المحيطيـنِ يبـتردونَ بمـاءِ الخليـجِ،
ويصلـونَ بغـدادَ "بالتُّومــاهوكَ"
حمـائمُ ترعـى سَـلامَ العُـراةِ،
وفـي "الكاظميَّـةِ" و "العامريَّــةِ"
تفتحُ عـرقَ البـلادِ علـى وسـعهِ

لتنوشَ غصيباً
وترقصَ فوقَ شفاهِ الجراحِ ذئابْ..
قل لهمْ: عاقرٌ كلُّ هذا الكلامِ الذي غابَ
عن فعلهِ،
واعتلى مثلَ ديكٍ -يُباهي بألوانهِ- الشُّرفاتْ...
وكيفَ وجدتَ أبي محجنٍ، والإمامَ،
ومن ماتَ في "النهروانِ" وواصلَ،
والأنجمَ الواصلينَ لبابِ المعارفِ،
لاينطقونَ، ومن زهدهمْ في الحديث،
تُرتّلُ قُدسيَّةً في محاريبها الصّلواتْ...
أتسألُ؟..!!!
ماذا أقولُ؟!!!
كما نحنُ، نَركضُ خلفَ المُنى والرَّغيفِ
الذي سابقَ الرِّيحَ عَدْواً،
وتَحفى على خطونا الطُّرقاتْ...
أتسألُ؟!!!
ماذا أجيبُ؟!!!
كما نحنُ، نَعبرُ من دمنا للفُؤادِ،
ونُسألُ عن موجبِ السَّيرِ -من غيرِ إذنٍ-
وعن عَدَدِ النَّبَضاتْ..

بمـاذا أجيـبُ؟!!!

انتظرنـي علـيٌّ

فلن أُخلـفِ الوعـدَ

لهفي إلـى موعـدٍ لايجـيء،

لأنقلَ عن قلـم -خـطٌّ فـي اللّـوحِ

سِفْراً -ولـو كلمـاتْ...

سـلامٌ عليـكَ...

إلـى الملتقـى ياحبيبـاً

جفتـهُ، ومـا أنصفتـهُ الحيـاةْ...

بَكَتْـهُ شَـقائق "ذِرْعَـاتَ"

واحْتَبَسَـتْ دمعـةُ الأقحـوانِ،

ونامَ الهـزارُ علـى صوتـهِ

حيـنَ مـاتْ...

□□□

(هوامش على كتابْ الحــــرب والسَّــلام)

وعنـدَ انهمـارِ المَسَـا
في كـؤوسِ الأحبَّـةِ
عـاتَبني كوكـبٌ...
يـا لعُتبـى الصَّديـق...
على وَهَـنٍ
صيفُـهُ؟!!
زَمهريـرُ السُّـؤالِ
وأَجوبَتــي...
كهفُ ياقوتَـةٍ
نَزَفَـتْ دَمَهـا...
حينَ فـاضَتْ صَبابـاتُ
جُرْحٍ

على شَطٍّ ليلى

وكانَ المكانُ؟!!...

على حافَّةِ النصْلِ

بينَ أذانِ العِشَاءِ

المُرَقَّشِ بالزُّهدِ

والمِقْصَلَهْ...

وكانَ الزَّمانُ

على مَفْرِقٍ للخُروج

أو الموتْ.....

لايَتَجاوَزُ

-في حدِّهِ الأَعظميِّ

مدى أُنْمُلَهْ...

القَناطِرُ..

والرَّدَهاتُ الوسيعَةُ...

قلتُ لها: ليلةً ونَعودُ...

تَقَرَّيْتُ كلَّ النَّوافذِ...

نَدَّاهَةَ البابِ..

قَبَّلْتُها حَجَراً... حَجَراً

لتعرفَني حينَ أرجعُ

من سَفرٍ في اليباسِ

أَضَعْتُ الطَّريقَ

إلى معبرِ القَلبِ....

لم تأتِ ليلى...

وكيفَ تَجيئُ البتولُ....

الطُّهورُ...

وهَوْدَجُها رابيهْ...

يَحُفُّ بها شَجَرٌ

-من عَرارِ الجنانِ-

وتمضي بها ساقيهْ....

وبَيْسانُ شامتُها،

والفؤادُ لها ضَاحيهْ....

ولمْ أفِ بالوعَدِ

ماذا أقولُ:؟!!!....

وخبزُ المنَافي بلا عُسْرَةٍ

لايَجيءُ

ودمعُ المنافي سَخينْ...

وذكرى تَلوحُ على آخرِ الصَّيفِ

خارطةً

من حَنين...

يقولون هاجَرَ...

قلتُ بلى....

لاجئٌ.. نـازحٌ....

عـائدٌ... قـاعدٌ....

لاتهمُّ الأسـامي...

فجرحُ البلادِ -على وَقْدِهِ-

في الفـؤادِ دفينْ...

نَسيتُ يـدي... والشَّـوارعَ...

والنـاسَ....

فـي زَورقٍ من بهـاءٍ....

على بحـرِ كبَّادةٍ...

أرْضَعتنـي حَليبَ الوفـاءِ

بـلا موعـدٍ للتّلاقـي...

وخيـلُ الهَديـر...

تُرامِقُ خيل "أليسارَ"

ماظلَّ مـن سورِ عكّـا...

مـن القـدسِ...

من مجمرِ العشـقِ فـي فجـرِ "تـالا"[٥]

---

[٥] تالا: من احد أسماء مدينـة أم قيس الأردنيـة، وتطـل علـى حمّامـات الحَمّـة السُّورية، وعلى أرضها قامت المنطقة الحرّة المشتركة بين المملكة الأردنية الهاشمية والولايات المتّحدة الأمريكية، وحكومة إسرائيل.

ومـن مُدْنَـفٍ، ظَـلَّ يحـرسُ جسـرَ الرَّفيـدِ...
ويَشربُ مـن "عيـنِ فيـتَ"
ويقبسُ من أَلَـقِ النيـل
جَمـراً
ويطـربُ -حيـنَ يـروحُ المَسَـا لـوداعِ الأَحبَّـةِ،
قبل الرَّحيـلِ إلـى جنَّـةِ الخُلْـدِ،-
مـن عَنـدلاتِ السَّـواقي...
عَشِـقْنا...
وماشـابَ غـيرُكَ
يا جبـلَ الشَّـيخِ!!
-حيـنَ تـوارتْ خُطانـا-
وفي القلـبِ حـبُّ العِذابِ،
وروضٌ خصيــبٌ
-يخـطُّ بأشـواقهِ صَفْحَـةَ النَّهـرِ-
بـاقٍ...
نزيـف المصـابيح؟!!!
أشـرعَةٌ للظَّـلامِ...
عيـونٌ مـن الجمـرِ...
ليفٌ مـن النُـورِ...
مَدَّ حبـالَ أصابِعِـهِ للدِّمـاءِ،

تَجوسُ كما سارقٍ للرُّقادِ،
تفورُ كما مرجلٍ، أو قضاءٍ،
يطاردُنا -في دروبِ الشَّتاتِ-
ليصطادَنا... واحداً.. واحداً
أُفْعُوانُ الفراقِ...
خيولُ الأَحبَّةِ -خلفَ حدودِ المنافي-
كبتْ في السِّباقِ..
البيادقُ -في لعبةِ الشَّاهِ-
تَنصحُنا أنْ نعودَ إلى الرَّحمِ....
نَصقْرُ وجهَ خريفٍ....
أضاعَ غدائرهُ في الرَّبيعِ،
ومرَّ على الصَّيفِ،
يُقري حزيرانَ
منهُ السَّلامَ....
حزيرانُ؟!!!!!
ماتتْ بيومِ زفافِ سَنابلهِ الشَّمسُ....
أوراقُهُ؟!!!
في مهبِّ الجراحِ الدَّفينةِ مَوجٌ من الخَوفِ....
فصلُ شتاءٍ تَزَمَّلَ بالخدرِ الطَّبقيِّ...

تَنـاوَسَ...

من رعشةٍ فـي اليَميـنِ

كما أُختِهـا،

فـي يَسـارِ اليسـارِ....

ومـن غابـةِ الزَّمهريـرِ....

يُحطِّبُ دفئـاً

لأقبيةٍ جَمَّـدَتْ دمَـهُ

عَتَقَتْـهُ....

وفاءَتْ لوقـعِ خطـاً

جرَّبتها غُضـونُ الجبـاهِ

التـي أينعـتْ للقَطـافِ

فغـارتْ وراءَ الجبيــنِ...

تُفتِّشُ عـن مـأمنٍ،

والزَّمـانُ ضنيـنْ...

كما بقلـةٍ.. يُقطـعُ الـرَّأسُ،

أُضمومَـةً لسـلامٍ

على قَـدِّ مـن صنَعـوهُ....

ويُتلـى لـهُ....

عندَ بوَّابـةِ النَّصـلِ

كـي لايَصيـحَ مَـدَدْ....

وفـي حانـةٍ -شـربت خَمرهـا
قبلَ بـدءِ الجنـونِ-
يُرَكّـبُ...
من غـير سمعٍ، ولا بَصـرٍ
أولسـانٍ، يقـولُ:
-إذا مَسَّـهُ السَّـوطُ،
من غير ذَنْـبٍ جَنـاهُ -أَحَـدْ...
"بـلالٌ " طـوى صوتَـهُ
في فِجـاجِ الحجـازِ،
ولم يُعطـهِ لأَحَـدْ...
وتلـكَ الخوافـي...
تُديـرُ الشَّـمولَ،
وتَشـربُ من حَوْضِهـا
لا تُصَـدّْ...
تديـرُ الكـؤوسَ
علـى الشَّـاربينَ
-كمـا يشـتهونَ-
وتَنسـى.... علـى يدهـمْ شَـاهدٌ
لاينامُ -بـلا قبلُ، أو بعـدُ-
فـردٌ صَمَـدْ....

فيا أَيُّها النَّاسُ!!!....

قوموا إلى دمكمْ....

فالعدوُّ -على فرسخٍ-

في الخَليلِ ينامُ

ويَشربُ قهوتَه

في صَفَدْ....

ومن عمَّةِ الشَّيخِ

يَفتلُ حبلاً

لمشنَقَةٍ للخميس،

وأُنْشوطَةً للأَحَدْ....

أُنجمعُ مثلَ رصاصِ البَنادقِ

أَمْشاطَ.... أمشاطَ...

أو منْ شَواطي البحورِ زَبَدْ؟!!!.

دونَ جذرٍ عَدَدْ...

نَموتُ بلا ديَةٍ أو قَودْ..

نصيحُ إذا مسَّنا وابلٌ من رِشَاشِ

السَّحابِ مَدَدْ

ونَفْتِلُ....

-طُربوشُنا قامتانِ- حَماماً

بمعجـزةٍ لا يبيــضُ،

يَبيـضُ الوتَـدْ...

ونَصمُـتُ صمـتَ القبــور،

إذا مـرَّ صبـحٌ -ببـابِ المدينـةِ

يَسـأَلُ عـن شـارعٍ، أو ولَـدْ...

زَبَـدْ...

والزّمـانُ بنـا غـائبٌ،

مـا "انْولَـدْ"...،

فـأَحْنَتْ -علـى كِبْرِهـا-

مـا أَنـاختْ، ظهور الرّجـالِ،

الرّجـالِ، وفـاضتْ دمـوعُ البَلَــدْ....

يمـوتُ الجبــانُ....

ونبقـى رجــالاً....

نُقيـلُ العثّـارَ...

ونجـبرُ كَسْـرَ الزّمـانِ،

ونفتـحُ آمادَنـا للأمَـدْ....

يا بَلَـدْ!!!

أَيُعقَـلُ أن لانكـونَ علـى أرضنــا

زنبقـاً، مُتْرَعـاً بـالعبيرِ،

وتَشْمخُ "أُتْرُجَّةٌ" فاسدٌ ماؤُها
في الجَلَدْ؟!!!..
يا بَلَدْ!!..
أَندهنُ بالزَّيتِ والعَرَقِ المُرِّ
باسمِ الذي شَطَفَ العُمرَ،
والقلبَ، حتى العظامْ؟!...
ومن حَشَفِ الوقتِ
نبني -على سَعفَةِ الحُزنِ-
نَعْشاً
لمن قالَ: تلٌّ النَّدى
لانَدى فوقهُ أو غمامْ؟!!!..
وتلٌّ النَّدى ذاهلٌ
من حَجيجِ الدُّموعِ،
كظيمٌ..
ومنْ مُقْلَتَيهِ
تَوَقُّدُ نارِ ضَرامْ....
ألا مُقْلَةٌ
يَعتريها نُعاسٌ
فتفرشُ -من زندها-
مرقداً للنَّديمِ،

وتَحلـمُ...

كيفَ يطـيرُ الهـوى

-كـلَّ صبـحٍ-

ويهوي بــلا رجعـةٍ

فـوقَ وادي الحمــام[٦]؟!!!..

وتلُّ النَّـدى

ذاهلٌ

مـن حَجيـجِ الدُّمـى،

والدمـوعِ،

ومن مَطَـرٍ حـابسٍ

فـي جفـونِ السَّكوبِ،

-ببـابِ السَّما -لايَسـيلْ

ومن غَفْلَـةِ الشِّعرِ،

حينَ يصــيرُ لهاثـاً،

ولا يَمتطـي صـهوةَ الكشــفِ،

ثُـمَّ ......

علـى عَتَبـاتِ الملـوكِ

يَفيـضُ "صَهيـلْ"...

---

[٦] وادي الحمام: وادٍ يقعُ إلى الغرب من مدينة طبريا في فلسطين المحتلة.

النَّـوارسُ تَغـدو خِماصـاً
إلى مدنِ الملْـحِ
تُخبرُهـا...
"غَلْوَتيـنِ" ويـأتونَ موجـاً!!!
أبـابيلَ... حتـى أقـاصي المحيطيـنِ!!!
للشَّـمس يبنـونَ وجها مـن الغـار!!!
كـي لاتغيـبْ...
المحارُ، جفـا بَحـرهُ
وجفـا غُصنُـهُ العَنْدليـبْ
كـاذبٌ حَمْلُـهُ،
والغنـاءُ ببـابِ الفـؤادِ نحيـبْ...
يَسـيلُ الكـلامُ...
كمـا شـارعٍ مُسْـتَديرٍ،
نمـرُّ عليـهِ ولا ينتهـي....
والوصـولُ
إلـى جَوْهَـرِ القَصْـدِ
- فـي قَصِّنـا- مُسـتحيلْ...
لبرِّ الشَّـآمِ
-بـلا قَمـرٍ- مرَّتيـن عَبَرنـا...
فمـن يضمـنُ الأرضَ

أن لا تميدَ بنـا أوْ تميـلْ؟!!!..

غيرُ رمــحٍ

تثقّفَ

في معهـدِ الطّعنِ،

يقـرأُ فُرقانَـهُ الأُمـويَّ

ولا يَشـربُ الكـأسَ

مـن حانَـةٍ، خمرُهـا نَشْـوَةٌ،

من سَـلامٍ ذليـلْ...

السَّـلامُ؟!!!...

السَّـلامُ؟!!!...

سـلامُ المُريـدِ، بعيـنِ المـرادِ،

وبعـضِ عيـونِ المُريـبِ،

وليس قنـا قـاتلٍ،

تستبيحُ ديـارَ القَتيـلْ..

السَّـلامِ؟!!

تَـروبُ الدِّمـاءُ

ولا تعــرفُ الأرضُ

مـن راحـلٌ، أو نَزيـلْ...

السَّـلامُ؟!!!

تَـروبُ الدِّمـاءُ...

و لا تعــرفُ الأَرضُ
مـن راحـلٌ، أو نَزيـلْ...
السَّــلامُ؟!!!
يطـيرُ الحمـامُ
مـن المغـربِ العَربـيِّ،
وحتـى سـوادِ العـراقِ...
يبيـضُ علـى درجِ العاشــقين
ولا منْ يقـولُ لـهُ
كيـفَ جئـتَ؟!!!
ولا مـنْ يقـولُ هَلُمـوا
إلى أُفُقٍ مـن شِباكِ
نَصيدُ الغَريـبَ الدَّخيـلْ..
السّــلامُ؟!!!
يُزفـُّ الشَّــهيدُ إلـى عُرسـهِ
عاشـقاً... والدِّمـاءُ تَسـيلْ..
تُزغـردُ كـلُّ النِّسـاءِ
ويبقـى -علـى مَوتِـهِ- شـامخاً...
مـدى الشَّـوفِ،
لا يُرتقـى لمـداهُ...
ويبقـى طويـلاً...

طويـلْ..

نمـوتُ...

ونُمعنُ فـي المـوتِ،

حتـى الحيـاةِ...،

وحتـى اشـتفاءِ الغليـلْ..

من يعيدُ إلـى سَاحةِ

الـرُّوحِ

تلَّ النـدى

وجنـوبَ الجنـوبِ،

المكـبِّرَ.. عَتْليـتَ

أَقْـرِتَ

حتـى شـعَافِ الجَليـلْ..

للصَّبـاح نذَرْنـا سـواعدَنا

- لنعيـدَ الـترابَ جميعـاً -

وشَـفْرَةَ

سيْفٍ

صَقيـلْ...

إلى شطٍّ ليلـى

عَـبَرتُ...

لأسـأَلَ:

عـن مُرْشِـدٍ،

أو خليـلْ...

وجـدتُ الزَّمـانَ،

-بقلـبِ المحـارِ-

هنـالكَ

مثلـي...

يُفتِّـشُ

عن ضـائعٍ

أو

دليـلْ..

□□□

القرميد الطّريّ ...

فـي مهـاد الطّـراوةِ،
قرميـدةٌ نـاكفتْ شـهدها،
حيـن حطّـتْ علـى راحتـي،
فَتَبتَّلْتُ، مـن قمّـةِ الـرأسِ
حتـى البَنـانْ...
بَلَـحٌ، ذابَ سـكّرُهُ
قبـلَ أن يسـتوي؟!!!
أم تُـرى "طَوْطَـمٌ" مـن زمـانِ
إلـهٍ طـريٍّ-
تجلّـى علـى عرشـهِ الأُرجـوانْ...
أشـعلتْ كوكبـي
فـانْخطَفْتُ بأطيافهـا
وركبـتُ جنـاحَ قَطـاةٍ،
لأَجْسَرَ مـا بينهـا

وخُضابِ دمي...
نَرتقي لجهاتٍ تعالتْ
على مسرحِ الكونِ،
واللاًمكانْ..
أشعلتْ،
زَلزَلتْ،
بَسَطتْ،
كوَّرتْ،
رُبمًّا قَسَطتْ بيننا،
عَجنتني رَغيفاً من العشقِ،
قسَّمتهُ للمريدينَ،
-في حضرةِ "القُطْبِ"-
ساروا على الماءِ،
واسترجعوا الشَّمسَ،
من مطلعِ الشَّرقِ،
قبلَ الأوانْ..
أراها...
أطيرُ بلا جانحينِ،
ألفُّ المدى
وأعودُ، لنفسِ المكانْ..

إلـى ذروةٍ لـم تَطَلْهـا سـماءٌ،
ولم يغـفُ فـي ظلّهـا عاشـقانْ...
وللعـاجِ أسـطورةٌ، مـا وعتهـا
التّسـابيحُ،
مـا اختزنتهـا شـروحُ الفَقيـهِ،
على سِـفْرِ مـن ضَيَّعـتْ "عقدهـا"
فَرَموهـا.....
وبرّأها الغيـبُ -فـي سُـورةٍ-
لتصيرَ كمـا شَـامةٍ فـي "البيـان"...
وللعشـقِ أسـفارُهُ فـي القلـوبِ،
ومن يعلـمُ الغيـبَ،
يُعطيـكَ مفتاحـهُ
طعنةً فـي الجَنـانْ..
لها سِـفْرُها
فـي كتـابِ الوجـودِ،
وفي اللّـوحِ، كـانتْ لهـا صـورةٌ
من زبيـبٍ،
وكانَ لها فـي رُخـامِ الصّـلاةِ
بمحرابهـا فلقتـانْ..
لزيتونـةٍ،

قطَّرتْ زَيْتَهـا نَبَوِيّاً

فصـرتُ لهـا شـْمعدانْ..

أُقـدِّمُ أسـئلتي

هـلْ تظـلُّ علـى نُسْكِها؟!!!!

وأظلُّ علـى بابهـا واقفاً

كـالغريبِ،

أذوبُ...

أخـافُ تَـذوبُ

كما زَبَـدٍ،

أو تطـيرُ دخـانْ..

لنَلـذَعَ أطرافهـا، بلهيـبِ الهـوى،

لتجـفَّ،

كما بلـحِ الشّـامِ،

حيـنَ يبـوحُ بأسـرارهِ،

فنطفـئُ نيرانَهـا،

بتَـقَرِّي جوانبهـا اللاَّفحـاتِ،

بغيـثٍ علـى عاكفـات الأنـاملِ،

يهمـي حَنـانْ...

سـألتُ: أمِـنْ أيِّ وادٍ،

تَجيئيـنَ بالمُشْـتهى...؟.

ومـن أيٍّ نبـعٍ
يفيـضُ علـى شـفتيكِ البَيـانْ؟!!!..
أجـابت:
هـو النُّضـْـجُ،
والصـَّدرُ -منـذُ تَفَلَّـقَ رمَّانُـهُ-
لم يَعُـدْ
في أَمــانْ...

□□□

الوشـــم

لتبغكِ وشـمٌ علـى شـفتيَّ..
وللبـابِ، حيـن يُـورابُ،
ظـلاَّنِ،
ظلٌّ مـن القلـقِ الأنثـويِّ
يمـرُّ سـحاباً...
وظـلٌّ -ورغـم احتمـالِ
افتضـاحِ السَّـريرة-
يهمـي علينـا أمـانْ..
فنعـبر للمشـتهى
خافقـاً يوقـف النبـضَ
عند التقـاءِ الشّـفاهِ،
ليوقـف سـيرَ الزَّمـانْ..
وأذنّ

تلفُّ الجهاتِ -جميعاً-
بآنٍ
لتنذرَ قبل الأوانْ..
أنسرق؟!!!!!
هذا هو الحالُ....
كل العصافير تعلنُ أشواقها
فوق حبلِ الغسيلِ،
ونكتمُ ما بيننا ليموتَ
وترثيهِ -في موكبِ الحزنِ،
قبلَ اكتمالِ الصبّا- دمعتانْ..
سلامٌ على أوّل الوجهِ،
قبل المغيب وراء صفيحِ الفراقِ،
وعاصفةٍ من دخانْ...
سلامٌ على رفّةِ الهدبِ،
حين تقولُ: الذي ما وعتهُ
الأناملُ،
والكلماتُ المطيرةُ
والقلبُ - حين يفيء إلى القلبِ-
والشفتانْ..

سلام علــى آخـر الوجـهِ،
صيفٌ مطـيرٌ
وأضمومـةٌ مـن ظـلالِ المعـاني،
وسُكرَةٌ -فـي كـؤوسِ القصيـدِ-
تَـذوبُ...
فتعشـقُها قطـرةٌ
لعيـونِ الغمـامِ،
وللنَّـومِ - فـي برعـم الـورد-
تعشـقُها قطرتـانْ..
لها شـامةٌ،
-فـي مـدار الشـفاه-
تـدورُ
أيسكرُ من حـجً للعيـنِ
نبعاً تعـامقَ فيـهِ الـزّلالُ
فأمَّهُ كـلُّ البحـار
لتكشـفَ سـرَّ القداسَـةِ
فيه..
وعـادتْ بكـلِّ نَوارسـها،
وتُسـائلُ....
مَنْذا يجـيءُ بأَخبـارهِ؟!!!

لتُعطيهِ مـا شـاءَ

مـن لؤلـؤ" أو جُمـانْ..

بمـن نبـدأُ العيـدَ؟!!!!

هـذا سـؤالٌ...

وللعيـدِ أسـئلةٌ

تتجاوزُ كـلَّ زَمـانْ

وتَعـبرُ خلـفَ حـدود

المكـانْ..

بها نبتـدي

وإليهـا نعـودُ،

ومـن نفحـاتِ الرّضـا

والقبـولِ،

وايمـاءةٍ مـن يديهـا،

يَجـيء الصَّبـاحُ،

ليعلـنَ ميلادَهـا

نـزوةً للقصيـدِ

وشـبَّابَةً للأغـانْ..

أيكـذبُ ميلادُهـا؟!!!!

أم تُـرى العيـدُ

مثـلُ الصَّبـاحِ

- بميلادها- يكذبــانْ..

سلامٌ علــى امرأةٍ،

تركتْ وَشْـمَهَا فـي دَمـي

قُبْلَـةً لا تحـولُ،

وراحـتْ إلـى مفـرقِ العمـرِ،

واحة ظـلٍّ،

وجـدولَ مـاء،

وأرجوحـةً للصِّبَــا...

كمـا مهـرةٍ سـافرتْ

في عيـونِ نـدىً

وجمـوحِ

حصــانْ...

□□□

فضاءٌ لهَيا.. فَضاءٌ للحُبارى....

أمدُّ الفراتَ على وجعِ الأرضِ،
يمشي وئيداً، ينامُ على راحتيَّ،
أسائلهُ: رقَّةَ الحالِ، كيف يَسوفُ؟!!!
يقول وراءَ جبالِ الرَّمادِ أُعَرَّى، "بطوروسَ"
يقتطعونَ السَّنامَ، ولحمَ التَّرائبِ،
والزَّوْرَ، والكتفينِ، وممَّا يليهِ من الظهرِ،
والفخذين، لأعبرَ من سُمِّ صَدْعٍ يضيقُ،
ويكبر جرحُ البلادِ، ويكبرَ حجم السُّؤالْ...
وأرفعُ دجلة جَسراً لبابلَ..
حتى ضفافِ "الدَّواسر"
تَسألُ وادي "العقيقِ" عن الأمرِ،
عن رحمٍ يُستباحُ.... وعمَّنٍ أقامَ بخَفْجَةَ"
– عند ابتداء النزّيفِ –يُصلِّي لماءٍ تَيَبَّسَ
في مقلةِ الغيثِ،

مرَّ سحاباً، كما برزخٍ من زجاجٍ تشظّى،
يَهزُّ صَواعقَهُ في وجوهِ النّخيل،
فتطرحُ أحمالها...
هيَا رفعتْ -في سماءٍ بلا حُجبٍ -رايةً للحدادِ،
فَهَلاَّ سألتم هيا مالَهَا؟!!!..
والدخانُ فضاءٌ، وشطٌّ، وصحراء تَعرى،
وتخلعُ للرِّيحِ أسْمالَها..
فيا ريحُ كوني لها مئزراً، ودثاراً
لعلَّ الذي نهنهَ النَّهدَ -حتى الأَخير-
يُلَفِّقُ عن حُرَّةٍ -في البلاط- تراودُهُ
والأميرُ "حَصَانٌ" على طُهرهِ عاكفٌ للصلاةِ،
يدلّكُ -إن أعجزتْهُ الأمورُ الصِّعابُ، وأبطأ
جيشُ التّتار -عَجيزتَهُ....
وتقدُّ القميصَ هيَا -من جميع الجهاتِ،
تصيحُ: الحقوا نَسلكمْ....
سَيِّدُ "المشرقين" -وكلِّ الجهاتِ-
يُغرِّبُ بالنَّسلِ، يعزلُ إن مسَّ يوماً حلالاً...
ويبقى يُمرِّغُ لحيتهُ بالسَّوادِ،
يُعسِّفُ مهرتَها، علَّها تستجيبُ،

ويقتلُ –إن جاءَهُ خبرٌ عن خروجٍ
مع الفجرِ –خيَّالها...
أضاعَ النَّخيلُ غماماتِه، والحُبارى تُبرِّدُ أعناقَها
في أتونِ الهَجيرِ،
تَمورُ الصقّورُ كآلهةٍ من حديدٍ،
تُمزِّق صدرَ السَّما بحرابِ السَّعيرِ
فتبكي "مَنَاةُ"
"الرّطينُ" يُصمُّ الفضاءَ
وصَبَّارةُ الصّيفِ تُجهدُ صوتَ الإمامِ،
أبو ذرٍّ قامَ يؤذِّنُ....
– والناسُ بين الغطيطِ، ونومةِ أهل الرّقيمِ، –
فأُدرجَ في كفنٍ من رصاصٍ، وأُلقيَ في اليَمِّ،
"فيروزُ" ألقتْ غدائرَها للرِّياحِ،
ونادت بكلّ الجهاتِ، و "ما في حدا"....
فتبكي "مَنَاةُ"... تصومُ
وتُطعمُ أشياخَها –في القَصيم، وطيبَةَ–
تطعمهم رَطْبَها في الغداةِ، وتنحرُ "للعيد" تمثالها..
كلوا ثديَ ربَّاتكم، واشربوا حَسْوةً،
من حليبٍ تفجّرَ في "البوكمالِ"....
فهذا زمان الثُّغاءِ،

لقَرنيـنِ نُحـرمُ قبلَ الطّـوافِ،
ونتلـوا كتـابَ الطّواسـينِ،
تَزحـف "مـاري" تبـاركُ معجـزةً،
والزّمـانُ علـى حافـةِ القَـرنِ
يـأكلُ لحـم أخيـهِ، ويرتـاحُ تحت ظـلال الأَراكِ،
وأجنحـةِ "التوما هـوكِ"....
وتُتْتمُ كـلُّ النّسـاءِ بـلا ذكـر، والحَمـام رَغـوثٌ....
يطـيرُ إلـى عـابرات المحيط، يبُشّـر ربّانهـا
بـابتداء "الجهـادِ"، الأراكُ يقــولُ:
الرِّفـادَةُ لـلرومِ،
من حبّتَيـنِ -كما زرقـةِ البحـر-
يرجع للشـيخ كلُّ صبـاه
يقـولُ: الرِّفـادَةُ لـلرومِ
والغيمُ مـا عـاد ملـكَ "الرّشـيدِ"
وبيـن الممـالكِ، والقـائمين علـى أمرِهـا،
-مُذْ أنـابَ لجنـحِ العواصـفِ-تـاهْ..
يقـولُ: الجـرادُ يزجُّجُ أرجالـهُ فـي سماءِ الجزيـرةِ،
والمومسـاتُ، ينـثُرنَ حِلوَ الجدائـلِ،
للقـادمين علـى مجثمِ الطيـرِ عبرَ البحـارْ..

أيحمـونَ أَمْنَ المَحــارْ ؟!!

ويُعلـونَ شمسـاً -كمـا عنـدمٍ- عنـد "بـاب العَمـودِ"

تـوارى وراء سـوادِ النَّهــارْ...

وظلَّـتْ صقـورُ التتـارِ مُطَهَّمَـةً فـي فضـاءِ الحُبـارى...

هيَـا كشـفتْ وجهها للرجـالِ،

ومـدَّتْ يـداً..... بالسِّـلاحِ

وأخـرى تعيـدُ كتابـةَ فِقْـهِ الرِّجـالِ،

وتـاريخهمْ فـي كتـابِ المغــازي....

وقـالتْ: نَفُكُّ الحصــارْ...

نُعيدُ التُّرابَ كمـا كـانَ

إرثـا مَشَـاعاً....

ومـن غيـر إذنٍ نَـزورُ دَسَـاكرَ نَجـدٍ

ويمضـونَ للمغـربِ العربــيِّ،

بـلا رخصـةٍ أو رجـاءْ...

هَبوا أُمَّنا قينـةً، مـن إمـاءِ الثغـورِ،

فإن أبانــا قصــيٌ...

تناسـلَ فحـلاً، يُـورِّثُ فحـلاً،

لسـاناً، ترابـاً، وملحمـةً، وكتابــاً،

وأسئلةً، وسـماءْ...

وقـالت: نصلـّي ببـابِ الوريـدِ،
ونقرأُ مـن سـورةِ الـدَّمِّ عُشْـراً،
ونَسـأَلُ عمَّـنْ "يُحـدِّثُ أَخبارهـا"....
ويمحـو –مـن المقلتيـن، ومـن دمنـا – عارَهـا...
وقـالَ: الأمـير، هيَـا جَدَّفَـتْ...
فاصلبوهـا علـى بـابِ ماشـطةٍ،
واصلبـوا عاشـقاً– مُدْنفـاً بـالخروجِ،
وحـبِّ هيَـا، والـتُّرابِ، توضَّـأ بالثَّـأرِ–
"أَوْحـى لهـا"...
هيا مهـرةٌ فـي فضـاء الحبُـارى،
تلـمُّ شـتاتَ الجهـاتِ،
تُعَسِّـفُ –قبـل مجـيء الطِّـرادِ
علـى جانحِ الصُّبـحِ –خيَّالهـا...
****
إذا لاحَ طيـف هيَـا –فـي المنـامِ– أفيـقُ،
وإن مـرَّ ذكـر هيَـا لا أنـامْ...
هَيَا عسـكرَتْ فـي ضفـافِ الوَريـدِ
وصـارَ لهـا –فـي الفـؤادِ –خيـامْ..
ندهتُ هَيَـا!!

جـاوبتني الأَيــائلُ

– من كـلِّ فـجٍّ–

وقالتْ هَيــا أشـعلت نارهـا

فــي رؤوسِ الجبــالِ،

ومـرَّت –علـى مُدْنَفـاتِ الصَّحـارى –غمـــامْ...

□□□

دمـــوعُ الخـــريف....

كمـا زنبـقٍ أسـودٍ، جـارحٍ.....
مـن رآهُ سـوايَ؟!!!
لأعطيـهِ نرجسـةَ العمـرِ
مزروعـةً فـي طبـقْ...
كما زنبـقٍ لافـحٍ...
مـن سـقاهُ سـوايَ؟!!!!
لأحكي لـه قصـةً
عـن حبيـبٍ تعشّـقَ رمّانَـهُ، فـانفلقْ..
كمـا زنبـقٍ جـامحٍ...
مـن رعـاهُ سـوايَ؟!!!!!
لأكتـبَ كـلَّ التّعـاويذِ
- فـي كفّـهِ مرّتَيـنِ-
مـن "الحمـدِ" و "النّـاسِ" حتـى "الفَلَـقْ"...
كمـا زنبـقٍ سـارحٍ...

قد تفتَّحَ في ليلةٍ من أَلَقْ...
مددتُ يدي أَتَقَرَّى قلائدهُ
والخِزامَ
ومالاذَ خلفَ ربىً مُترفات
الشموخِ...
فجنَّ....
وراحَ يموجُ -ببحرِ التَّراقي- حَلَقْ..
ندهتُ: على رسلكم،
فجميعُ الذي في الكنوزِ،
- إذا ما تمادى حديثُ التَّقَرِّي-
نَزَقْ..
و لا شيءَ غيرُ احتراق الأَناملِ،
- في موقدٍ للجنونِ-
يُعيدُ براكينَها- رغم بردِ
الشّتاءِ- إلى ما سبَقْ..
تمرُّ كما شَادنٍ شاردٍ
في الرِّياضِ،
أمدُّ يدي....
كيفَ فرَّتْ ملامحهُ -من يديَّ-
فذبتُ -عليه- أرَقْ؟!!...

ركضتُ لأُمسكَهُ،
وأزجَّ به خلفَ سجنٍ،
- تخيَّرتُهُ- من ورَقْ...
رسمتُ ملامحهُ...
وقفتْ ريشتي
-عند بعضِ التَّفاصيلِ-
تشربُ ألوانها
باشتهاءِ الظَّهيرةِ للظِّلِّ
فرَّت -إلى وجههِ- قطرةٌ
من دموعِ الخريفِ،
-تحيَّرتُ من أمرها-
فاحترقْ..

□□□

أنثى

قاماتنا - في ظلِّها- شمسٌ
من الياقوتْ..
في واحاتها، تَرعى قطيع النَّجم،
في مرآتها تبيتْ..
يحكونَ، حبٌّ الهالِ
في طريقها يَمشي،
إلى مساطبٍ للبنِّ في "أَبْهَا"
وحَضْرَموتْ..
لكي ترى أَحلامَها -في المقلتين-
تسهرُ الأقمارُ، والنُّجومُ، والبيوتْ..
يحكونَ عن حدائقٍ للحورِ، والرُّمانِ،
عن كواعبٍ، يبيتُ في عيونهنَّ اللَّيلُ،
تستظلُّ -في الرُّموشِ- جَنَّةٌ
قطوفها تحكي، وطيرُها صَمُوتْ...

عن كـرزٍ مشـقّقٍ
عن حَلمَةٍ مـن تـوتْ..
عن كرمــةٍ تحكـي، وعـن أُنثـى
علـى أوراقهـا تَمشــي
وفـي عُنقودِهـا تَفـوتْ..
تَخمـرّتْ...
ومن يمـرُّ فـي ظلالهـا،
لا يُتقـنُ السُّـكوتْ..
يحكـي لهـا الأَسـرارَ
منذُ النَّشــأَةِ الأولـى
لبلقيـسَ، وعَشْــتَروتْ..
عن سُـرَّةٍ
- علـى شـفاهِ الكـأسِ-
أعطـتْ موعـداً
"للقَـسِّ"
كـي يَمـوتْ...

□□□

(السُّومَرِيّ ...)

سـألتُ عـن المُضْعَـفِ السُّـومريِّ
يطاولُـهُ –فـي البَهـاءِ– غـروبُ...
فـردٌ –بجنـح اللّيـالي– تـذوب
–عليـه– "جنــوبُ"[٧]...
ببابلَ لمـع الثنايـا
وفـي بعلبكّ الصَّيـبُ...
سألتُ: أبـاحتْ بسرٍّ الخطايـا؟..!!
وهـل طَهَّرتْهـا الذُّنــوبُ؟!!!.
أتــابتْ؟!!!!
ومن غير مَيْتٍ
–عنِ العشـقِ يومـاً– يتــوبُ؟!!!..
حبيبٌ كمـا النهرِ
عـن ضفّتيـهِ غريـبُ...
إلى البحـر يجـري،

---

[٧] جنوب: بائعة لذّة، عشقها "أنانيل" إله السّماء السّومري واختارها زوجةً له.

وفي الشـطِّ يرمـي عباءتَـهُ

ويـذوبُ....

جنـوبُ!! أكـانَ مَشـوقاً

لـيرعى بسـاتينَ شَـعْرٍ

تَجاسـرَ وردُ الرِّيـاضِ علـى لَمْسِـهِ

بيديـهِ،

فضـوَّعَ مسـكٌ...

وشَـلاّلُ ليـلٍ -يصـبُّ

علـى مَرْمَـرِ الكتفيـنِ- خَضيـبُ؟!!!...

بيمنـاهُ نجـمٌ ضحـوكٌ

ويُسـراهُ نجـمٌ غَضـوبُ....

يقـولُ: لبـدرِ السَّماءِ غوَيْـتَ،

ويُعلـنُ أحكامَـهُ عندليـبُ....

فيبكـي ولا مـن مُجيـبٍ،

وإن مرَّ فـي بـرزخٍ للتَّمـامِ

يغيـبُ...

تُطلُّ علـى شـرفةٍ للمرايـا،

فيخصـبُ قلـبٌ عليـلٌ جَديـبُ...

ويصطَـفُّ أفْـقٌ مـن العاشـقاتِ

فيحتـارُ -فـي حسـنهنَّ- النَّسـيبُ...

مَشُـوقٌ لكـلِّ الوجـوهِ المرايـا

فتسعى إليه....
ووجهٌ تَوارى
وراءَ نهودِ الدّوالي
فَرَوَّتْهُ من قَدَحينِ
فأَغْفَى على زِندها
إن دعاهُ المولّهُ
لا يستجيبُ...
يهيمُ -على وجههِ- في براري
سماء، بلا قمرٍ، تبتليهِ الخطوبُ...
وتدفَعُهُ -في طَريق المعاصي-
هبوبُ...
جنوبُ!!
ارفقي..
يالأُنْثى من النَّارِ!!!
-إن بَرَدَتْ-
في حنايا "أنائيلَ"(٨)
-حيث يمورُ الفؤادُ-
يشبُّ اللَّهيبُ...
□□□

---

(٨) *أنائيل: كلمة مركبَّة من الضّمير "أنا" و "ايل" التي تعني "إله" بالسُّومرية.*

(بين يديّ ابنة المستكفي...)

صبحها ليـلٌ كفيفٌ

في مدى ليلٍ يفـوتْ...

شـالُها غِمْـدي...

ومن عمرين مـا مرَّتْ علـى

أسـرارها عنـدي....

وفـي مـرآة عينيهـا أرى الآتـي،

-كمـا المـاضي- علـى بوَّابـة الأجفـانِ

يَسـتلقي...

يمـوتْ...

ليت لي وقـتٌ،

للعـب النَّردِ، فـي أوراقِ نَهديهـا...

لعشـقٍ

يفـرطُ الرُّمـانَ

فـي أحضـانِ كفَّيهـا...
كمـا اللَّبـلابِ، حـولَ الـرُّوحِ،
حتـى زهـرةِ "القرميـدِ"
نأتيهـا بسـرٍّ الوَصْـلِ،
تعدو مهـرةً فـي الغـابْ...
من يحكــي سـواها
سـرَّها المكنـونَ
للُعنــابْ....

*****

نناديهـا..
فلا تـدري،
أكانتْ فــي "قفـيرِ" الشَّـهدِ،
أم كـانتْ ببطـنِ الحــوتْ؟!!!..
أجَـلْ....
ماكانَ "مـن قلبيـنِ"
في جــوفٍ،
ولا عشـقينِ فـي قلـبٍ،
لأهدي واحــداً منهـا
لمـن أهـوى....

ولا أَصبو لغيرِ النَّومِ،
في أعماق عينيها.....
لأقمارٍ، تَهادَتْ
تحتمي بالنَّارِ،
أهدي غفوتي الأولى...
وللفخَّار -في روحي-
مشاويرٌ...
ولي -من روحهِ- المَرْقَى...
ومن أنفاسِهِ شِعْرٌ...
ولي من جُرحهِ التَّابوتْ....

****

ماظلَّ من زوَّادتي
للدَّربِ، لا يكفي
لغير الشِّعرِ،
يافخارةٌ فاضتْ
عن المعنى....
فصارتْ كوكَبَ الفخَّارْ....
هذي الأرض، صلصالٌ
على صلصالْ...

والمعنى سماءٌ، سقفُها
مرجانةٌ حمراءُ،
أحجارٌ من الياقوتْ....
هل ولادةٌ مرّتْ على الأسماءْ؟!!!!
هل عادت من الآتي،
لتعطي موعداً -في الأمسِ-
للأشياءْ؟!!!!
منديلاً لمن مرُّوا
على التّاريخِ
يستفتونَ نَهديها...
وسرَّ العطرِ
في قمصانها المفتوحةِ الأزْرارْ....
حتى "آخر المشوار"؟!!!!..

****

ولاّدةٌ -في ثوبها الشّفافِ-
صارت مَيْعَةَ المزْمارْ...
في بحرٍ من العشّاقِ
صارتْ زورقاً
من توتْ...

غيرُ الشِّعر، لايعطي مقاماً
بين وجدِ الوَجْهِ
والأنثى.....
ووجهِ النَّارْ...
للأقدارِ ميقاتٌ،
ومن لايشتهي ولاَّدةً،
تأتي من الأَسْحارْ؟!!!..
في بحرٍ من الأَسفارِ،
حتى الملحِ،
حتى حافةِ الطُّوفانْ....
فاضَ العمرُ -للجُوديِّ-
ريحاً في يدِ الأَقدارْ...
من وعدٍ أقامَ العطرُ ميقاتاً
لبدءِ الغَوْثِ،
من أمطارِ كَفَّيْها،
فقامتْ دولةُ الأُنثى.....
وعادَ الشِّعرُ شلاَّلاً
من النُّعمى
ودالتْ دولةُ الطَّاغوتْ....

يا فخَّـارةً !! تـاهَتْ

ولم تسـلكْ طريـقَ

الوجـدِ،

هـذا وجهكِ المـاضي

إلـى أزمانهـا الأخـرى

على أحبابـه يبكـي

كلـي تفَّاحـةَ النَّهديـنِ،

فالتَّـاريخُ -فـي الدُّنيـا-

بـلا تـاريخْ...

والأشياخُ -مـن بَكْـرٍ ومـن مَعْدٍ-

سَروا -فـي دِمْنَـةِ

الأيـامِ-

كالدِّيفـانِ، كــالزِّرْنيخْ...

كُلـي تفَّاحَـةَ النَّهديـنِ،

خُـبْزُ السَّـادةِ "الأَشـياخِ

مبـذولٌ -بـلا مَـنٍّ-

لأَضْيـافٍ" مـن المرِّيــخْ...

مـن للنَّــارِ؟!!!..

نَسـقيها، فتسـقينا،

لكـي ننسـابَ،

نـروي زهـرةَ الرُّمـانِ،

نُظمـي كأسَـها الممـزوجَ

نَجلـو لونَهـا المكبـوتْ...

عشـقٌ مابهـا،

أم زهـوة الأنثــى،

ومجـد الشّــعرِ، ؟!!!

أم أسـطورة العنقــاءِ؟!!!!

أم تلويحــة "المـــاموت"[٩] ؟!!!!

□□□

[٩] الماموت: كلمة دراجه يقصدُ بها حيوان الماموثْ.

(نسيت يدي....)

يا التـي تركتني علـى عتبـاتِ الضُّحى
أتعـثَّرُ..... أنسى مغـاليقَ نفسـي
-علـى حالهـا-........ مُشْـرَعَةْ....
والنَّهـارُ بطـيءُ الخُطَـا....
يصطلـي بلظـاهُ.....
تلوحينَ فـي خـاطرِ الـوردِ،
أسـمعُ خطـوَ دمـائيَ فـوقَ رصيفـِ الفُـؤادْ....
فـأَتركُ نصـفَ الكـلامِ علـى جـانبيٍّ اللِّسـانِ
يَضيـعُ،
وأسألُ عنـهُ: الـذي مـارآهُ،
وأسـألُ عنـه الـذي ضَيَّعَـهْ...
إلى أيـنَ؟!!!
ليـسَ مهمـاً....
أمرُّ أمـامَ الـذي كـان صبحـاً....

ربيعاً... مشاويرَ زنبقةٍ في شذاها،
ونفسُ الرَّصيفِ -الذي كانَ يضحكُ-
ساجٍ على حزنهِ،
يشربُ الظِّلَّ ناراً
يُبرِّدُ جبهتَهُ بدموعِ الذينَ
يمرّونَ بعضَ اشتعالٍ
وبعضَ رمادْ....
ويَنْسى -إذا زارَه الوجدُ
عند المسَا -مَوْضِعَهْ....
نسيتُ يدي...
والمفاتيحُ جاءَتْ تُعاتبني...
كلَّ يوم تروحُ
وتتركُنا في دروبِ الضَّياعِ،
نُكابدُ نارَ الهوى،
وجحيمَ الكلامِ المُعادْ....
أنَبني لعشْقِكَ في كلِّ أُنْمُلَةٍ
من يديَّ الهوى صَوْمَعَهْ؟!!!!..
أيا امرأةً!!!
في الرَّصافةِ -تَرفُلُ بالحُسنِ-
طالَ البُعَادْ...

وهجركِ نـارٌ بقلـبِ الـذي
كان يوماً عليـهِ
ومـن كـانَ -يومـاً- مَعَـهْ...
قريـبٌ مـدى الشّـمسِ،
كدنـا نُفـارقُ أرواحنـا فـي "السَّـوادْ"....
وللوصـلِ، نركـبُ
-إن فـاضَ كـأسُ الهـوى- زَوْبَعَــةْ...

□□□

(التَّميمَيَّهْ....)

على المـاءِ أركضُ
خلف بـلادٍ،
أضـاعت معالمهـا،
والدَّليـلُ كـلامٌ،
تَلاشَتْ معانيـهِ فـي زَحمـةِ اللَّغْـوِ...
أَنْهَدُ لامرأةٍ تتمـاهى
بزرقـةِ بحـرٍ،
علـى كوكبيـنِ تُعلـق مخدعَهـا،
وتنامْ
على موجـةٍ مـن دخـانْ...
غيومـيَ تهمـيَ شـهيَّ القَصـائدِ
-فـي مقلتيهـا- فراتـاً
يشقُّ المحيـطَ إلـى حَزَنِ الشَّـطِّ،
ظلَّت سـراباً

قريباً.... بعيداً....
وفي معزفِ الأفقِ لحناً
-كما موكبٍ للفَراشِ-
بألوانهِ الزّاهياتِ جميلْ...
ورُحْتُ إلى قامةِ نَخْلَةٍ،
لذَّعَتْها الرِّغابُ -إذا أشرقتْ-
بالبهارِ ترشُّ الرُّبى، وعذوقَ النَّخيلْ...
وتَصدقُ إن كَذَبَتْ!!
والكلامُ -كما خادمٍ للمعاصي- ذليلْ...
نبيٌّ ويكذبُ؟!!!
تلكَ سجاحُ...
تعيد كتابةَ هذا الزّمانِ
على صفحةِ الرّملِ،
يكذبُ شعريَ فيها،
سواءٌ تهاطلَ في موسمِ الكرمِ،
أم كانَ في موكبٍ للنّبيذِ الهطولْ...
وظلَّ القصيدُ يُخادِعُ أوْزانَهُ،
والقَوافي،
يُقلِّبُ في دفترِ العشقِ
عن موعدٍ لايجيءُ...

ويفـرِدُ أَجنُحَـهُ، لـيروحَ

إلـى مطلـقٍ، مسـتحيلْ...

نَسـيتُ الـذي وَعَـدتْ....

والسَّماءُ تُبـاركُ جمـراً

تَرمَّـدَ فـي مجمرينـا،

تَلُمُّ قصائدنــا

من شـفاهِ مـواتٍ،

لتغسـلَها مـن دمٍ

خـادعٍ

لا يسـيلْ...

□□□

(أصابع القمر..)

علـى ضوئـهِ يستريحُ القَمَـرْ...
وتَمضـي أصابعـهُ للنوافـذِ
تفتـح أبوابَهـا للسَّـهرْ...
تُداعـبُ شَعر الأَغـاني
وتوقـظُ رفـةَ العصـــافيرِ
من وهـدةِ الحُلـم،
فـاللَّحنُ حَنجـرةٌ مـن سَـفَرْ...
لـيركبَ أمواجَـهُ المرهفــاتِ،
ويمضـي بنـا فـي فضـاءِ السَّماواتِ،
نـزرعُ فيهـا النُّجـومَ شَـجَرْ....
ونُعـرشُ أحلامَنـا فـي سـطوحِ السَّـحابِ
كـرومَ غنـاءٍ، شـريطَ صُـوَرْ...
تَعودُ يـداهُ،
ونبقـى علـى شُـرفاتِ السَّـماءِ،

نُغنّي لفيروزةٍ مشتهاةٍ
لعلّ الذين أشاحوا
-لما فعلتهُ يدانا-
يقولونَ: -في أغنيات الحنين
إلى النّاسِ- تجري
دماءُ الغَجَرْ..

□□□

(شامَه....)

غـدٌ -عندهـا- مُهمـلٌ بــالمجيء....
يَمرُّ علــى الأَمـسِ يوقظُـهُ
من عزيـز المنـامِ....
ليُخفيـهِ -فـي كمِّـهِ- موعـداً
لصبـاحٍ، مـن الأُرجـوانْ....
غـدٌ -عندَهـا- مُهمـلٌ بالوفـاءِ،
يُلَفِّقُ أَعـذارَهُ، مثـلَ طفـلٍ
يُحاصرهُ النَّحْـوُ فـي خانَـةِ الحَـالِ،
يَهـربُ فـوقَ خيـالٍ جَمـوحٍ....
إلى خَـبَرٍ لا يُقـالُ أمـام الجميـعِ،
ويعـرفُ مكنونـةَ السِّـرِّ
أن الدَّجاجـاتِ
-حيـن تمـوءُ-

تُخَبِّئُ -فـي صوتها- جرساً من نحاسٍ
وتزرعُ -فـي شَفَةٍ- لحيةً من حريرٍ
وتَزرَعُ -فـي أختها، كبقيَّةِ كلِّ الرِّجالِ-
شَنَبْ...

-أتكـذبُ؟!!!

-حاشَـا....

لكلِّ مُـواءٍ سَبَبْ...
لشَامةَ، بَطْنٌ، وظَهْرٌ،
وعينانِ بارقتانِ،
وعشرونَ معجبةً،
ومديرٌ، يُديرُ الحكايا، وماشطةٌ
وجدائلُ مثلُ الأصيلِ،
وشَامَةُ حُسْنٍ- على خَدِّها- وذَنَبْ...
تَدورُ على الجالسينَ تُقَبِّلُهم واحداً، واحداً،
بحنانٍ
وتجلسُ فـي حضنِ من تَشتهيهِ،
وتقفزُ -إن مرَّ فأرٌ صغيرٌ،
على شَاشَةٍ للحكايا-
كما طلقةٍ من غضَبْ...

لشـامةَ "كبكوبَـةٌ" مـن خيـوطٍ
لتنسـجَ كنزتَهـا -فـي الخَريـفِ- علـى مهلهـا،
فـالصَّقيعُ -كمـا تعلمـونَ- يزيـدُ أُنوثتَهـا
للذُّكـورِ،
فتخـرجُ توعُدهُمْ فـي "الزَّواريـبِ"
أو بعـد نـومِ الصِّغـارِ،
علـى "حَاويـاتِ" الرَّصيـفِ،
فِراشٌ وثـيرٌ....
وفاكهـةٌ،
والشِّـتاءُ تجمَّـدَ مزمـارُهُ،
والرِّيـاحُ خَبَـبْ...
والغنـاءُ -كمـا تشـتهيهِ المزاريـبُ-
سَلْطَنَةٌ، والهُطـولُ، طَـرَبْ...
وترجـعُ شـامةُ.... مكسـوَّةً بـالحَريرِ،
مُضمَّخَـةً بـالعُطورِ،
مُشَنْشَـلَةً بـالذَّهَبْ...
خَواتـمُ ممـا تشـاءُ...
أسـاورُ فـي المعْصَميـنِ،

وفـي جيدهـا زَرَدٌ

لسـتُ أدري متـى ينتهـي...

يبتـدى عندَهـا...

ربمًا في الشّـآمِ لـه آخِرٌ،

ربَّما فـي حَلَبْ....

لسيِّدتي عُروةٌ في قميصِ المسـاءِ،

تُعلِّقُ وردتَها للفصـولِ،

وتُضفـي علـى رَونَـقِ الـرَّاحِ

-حيـن تَجنُّ الكـؤوسُ -"حَبَـبٌ"...

علـى رِسـلها، تقتفـي دَرْبَ "شَـامَتِها".

لا تَمـوءُ....

وتقتسـمانِ الزَّبـائنِ،

اسـفنجتانِ -لكلِّ الثّمـالاتِ-

حتـى الصَّبـاحِ،

تعـودانِ -عنـد انطفـاءِ السُّـكارى-

كما نجمتيـنِ، خبـا نـور عينيهمـا،

واسـتحالَ البريقُ تَعَـبْ...

لعُشّـاقِها، تركـتْ همسـةً

فـي ضِفـافِ السَّريرِ،

تقـولُ غـداً....

وغدٌ -فــي سَـعيرِ الدِّمـاءِ

بقلـبِ المُريـدِ -حَطَـبْ...

□□□

الفهرس

□□

رقم الإيداع في مكتبة الأسد - الوطنية

هوامش على كتاب الحرب والسلام:.شـعر/ يوسـف عويـد
الصياصنـة- دمشـق: اتحـاد الكتـاب
العرب، ١٩٩٩- ١٣٤ص؛ ٢٤ سم .

١- ٨١١,٩٥٦١ ص ي ا هـ ٢-العنوان

٣ - الصياصنة

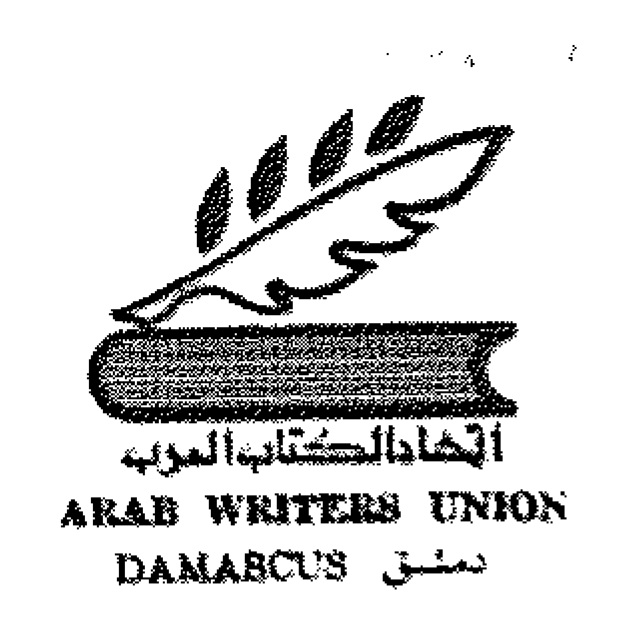
ع - ١٥٦٠/٩/١٩٩٩ مكتبة الأسد

❑

اتحاد الكتاب العرب

ARAB WRITERS UNION

DAMASCUS دمشق



هذا الكتاب

مجموعة من القصائد تحكي هموم الذات والوطن والأمة. وقد أخذت منحى بوحياً حيناً وإنسانياً حيناً آخر.

حيث الشاعر مغموساً بالأرق والقلق، ويظهر الجرح القومي عاصف لاهب، يتنزى من خلال سطوره النابضة بالولاء للوطن والوفاء للأمة يعتمد الشاعر في قصائده على اللغة المتفجرة والصور المبتكرة والرموز التاريخية، كما تظهر القصائد صلة الشاعر الوثيقة بالمكان.

□□

ثمن النسخ...
١٧٥ ل.س

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق